سر الخلود

الجميـــــــــلةُ قد أَتَتْ

د . مُحَمَّد إِسْـماعِـيل

الطبعة الأولى يناير ٢٠٢٠

الكتاب : الجميــــــــــــــلةُ قد أَتَتْ

المؤلف : د. مُحَمَّد إِسْـَماعِـيل

تدقيق لغوي : هدير محمود

تصميم الغلاف : محمد دربالة

رقم ايداع: 23558 - 2019

ترقيم دولي: 978-977-85604-3-5



دار مسار للنشر و التوزيع



01020439639



massar.pub1@gmail.com



ش - حسن خطاب - قسم يوسف بيك - الزقازيق - الشرقية

د . مُحَمَّد إِسْمَاعِيل

سر الخلود



مَن منَّا لمْ يحلمْ بالشباب الدائم.
ومَن منا لَا يخاف الموت.

إهـــــــداء

إلى جميلة الجميلات
مها علاء الدين سالم

-السلام عليك أيَّها الإله الأعظم إله الحق. لقد جئتك يا إلهي خاضعًا لأشهد جلالك، جئتك يا إلهي متحليًّا بالحق، متخليًّا عن الباطل، فلمْ أظلمْ أحدًا ولمْ أسلك سبيل الضالين، لمْ أحنث في يمين ولم تضلني ولم تمتد يدي لمال غيري، لمْ أكنْ كذبًا ولمْ أكنْ لك عصيا. إنِّي (ياإلهي) لم أوجع ولم أبك أحدًا، وما قتلت وما غدرت، بل وما كنت محرضًا على قتل، ولم أدنس شيئًا مقدسًا، ولم أغتصب مالًا حرامًا ولم أنتهك حرمة الأموات، أنا طاهر، أنا طاهر، أنا طاهر. وما دمت بريئًا من الأثم، فاجعلني يا إلهي من الفائزين -.

كتاب الموتى

القاهرة ٢٠٢٠

في الحديقة الخلفية لمنزلهم جلست على الأرض تنسق الزهور.
هواية جديدة وجدت فيها راحة نفسية كبيرة مؤخرًا.
تناسق الألوان ومشاهدة الزهور وهي تنمو أمامها بطريقة ما يريح الأعصاب.
فترات طويلة تقضيها مع الزهور الآن تحاول أن تصرف تفكيرها عن ما تمر به حاليًا.
هل حان الوقت أن تخبره؟
لا تدري كيف تخبرة الآن؟ هل سيكون سعيدًا؟ ماذا ستكون ردة فعله؟ هل أستطيع تحمل ما أنا مقدمة عليه؟
أسئلة كثيرة تتسارع في عقلها وبينما تمسح حبات العرق التي تتساقط على جبينها كحبات اللؤلؤ الأبيض على خدودها الورديَّة تسمع صوت يقترب من الباب.
هل عاد؟
الوقت لا يزال مبكرًا جدًا فهو لا يعود قبل الثالثة مساءً، ووعدها اليوم بعشاء مميز.

اليوم قررت أن أخبرة على العشاء.
هل حضر مبكرًا للتجهيز للعشاء؟
بسرعة وضع يديه على أنفها من الخلف لم تستطع أن تلتفت أن تنظر إليه لم يعتاد أن يعمل ذلك من قبل.
اليدين تمسك بها بقوة.
الآن تلاحظ وجود شيء آخر في يديه تستنشق رائحة غريبة.
لا تشعر بشيء!
تنظر إليه الآن.
من أنت؟ أنت لست. . .

***

طيبة ١٣٤٩ قبل الميلاد:

خارج أسوار معبد أمون جلس وحيدًا ينظر إلى السماء.
يومًا آخر من تعاليم المعبد.
لا يحب الكهنه وهم لا يحبونه بالمثل، بعد عامًا كامل من الدراسة في معبد أمون كان تقرير الكهنة لوالده أنَّه لا يصلح للحكم والأسباب. . . (يفكر كثيرا).
ولا يحترم الأله أمون. . . بل الحقيقة لا يحترم أيًّا من الألهه.
حزن والده كثيرًا وكان القرار أن تزيد فترات تعليمة في المعبد ومع الكهنه وإن كان قد قرر بالفعل أنَّه لن يحكم مصر في يومًا من

الأيام.
نظر إلى السماء لا يمكن أن يكون هناك أكثر من إله مفهوم تعدد الإله غير مقبول لعقله كيف لهذا الكون أن يحكمه أكثر من إله؟ كيف يتصارعون فيما بينهم؟ ولماذا يتحمل الإنسان خلاف الإلهه؟ كره الإله أمون بشدة. فكلمّا اعترض أو شعر بأن ما يقوله الكهنة غير منطقي كان الجواب أن أمون سينزل لعنته عليك وأنَّك من المطرودين.
لن تحكم مصر في يومًا من الأيام. نظر الكاهن إليه أخيرًا حينما تعب من فلسفته وسؤاله المستمر وأخبره أنَّه رفع تقريره إلى الملك. ستظل خادمًا في المعبد الذي تكرهه إلى الأبد.
أحد حراس القصر يمشي مسرعًا تجاهه.
-سيدي: الملك في حاجة إليك فورًا.
-ماذا يحدث؟
-لا أدري سيدي ولكن مطلوب حضورك إلى القصر في الحال.
سار مسرعًا خلف الحارس ولا يدري ما المشكلة هل تواصل الكهنة مع والده، وقدموا شكاوي جديدة؟ لم يسألهم أي أسئلة اليوم فهم لا يستطيعون الإجابة بأي حال من الأحوال.
دخل القصر مسرعًا خلف الحارس وتوجه إلى مجلس والده والذي جلس حزينا على عرشة وبجواره أكبر كهنة أمون.
-والدي الملك.

-اقترب يا ولدي. أشار الوالد له بالاقتراب وبدأ الملك في الكلام بنبرة حزينة.
-أمنتحب. لقد تُوُفِيَ أخوك الكبير تحتمس... وأنت الآن الوريث الأوحد لعرش مصر
-لم يدري ما صدمه أكثر وفاة شقيقه الأكبر أم أنَّه الآن أصبح الوريث الأوحد للعرش وسيكون في وقت ما فرعون مصر القادم.
أعجزته الصدمة عن الرد، وتذكر كلام الكاهن لن تحكم مصر في يوم من الأيام.
ما تأكد منه أن مصر معه لن تكون كما كانت من قبل سيتغير كل شيء...

***

برلين ١٩١١

في منزل هنري جايمس سايمون جلس مدير أعماله يتناقش معه حول قراره الأخير
-سيدي هذه مبالغ كبيرة من المال لإنفاقها للبحث عن الآثار؟ أنت تقوم بالتنقيب في أكثر من ١٢ موقع حول العالم في نفس التوقيت. أنا أعلم شغفكم بالآثار ولكم هذه مبالغ طائلة. هل هناك ما تبحث عنه؟
هنري جايمس سايمون أغنى رجل في ألمانيا، يهودي كان والده

يتاجر في القطن وطور هنري تجارة والده للأقمشة ليصبح اِسمًا بارزًا حول أوروبا وفي ألمانيا خصيصًا. طالما كان شغوفا بالآثار القديمة وبينما كان الجميع يشتري الآثار واللوحات القديمة كان هنري يمول رحلات استكشافية للتنقيب في العراق ومصر واليونان. يختار الأماكن بدقة ويختار من ينقب له. بعد فترة وجيزة أصبح يمتلك أكبر مجموعة من الآثار المتنوعة من حول العالم.

نظر هنري إلى مدير أعماله:

-لا توجد لدينا أي مشاكل ماديَّة أو مشاكل في تمويل حملات التنقيب. وعليك أن تعتبرها هوايتي المفضلة وهذا ما استمتع به. ما يهمني الآن هلي هناك أخبار من مصر؟

-في الواقع سيدي هذا أحد الأشياء والتي أردت أن أتحدث معك عنها. حملة مصر سيد هنري ألا تعتقد أنك تقوم بالتنقيب في المكان الخاطئ؟

-ماذا تعني؟

-أقصد سيدي أن الإنجليز والطليان والفرنسيين وحتَّى المصريين الجميع أمَّا أنَّه ينقب بجوار الأهرام أو في الأقصر وهناك معظم الاكتشافات. وحملتكم في مكان. . . لا يوجد به أي شيء سيدي؟

هنري ضاحكًا:

-بل الأدعى أن ننقب بعيدًا عن الجميع فأنا أبحث عن شيء مختلف.

القاهره ٢٠٢٠

سنتين من الزواج ولا يزال يشعر أنَّه في طريقه لمقابلة حبيبته.
يتلهف للعودة للبيت سريعًا فلا يزال رؤية وجهها الجميل هو ما يضفي السعادة إلى حياته.
لم يتصور أن يقع في الحب يومًا ما. . . وكم هو سعيد أن يكتب له أن يتزوج من يحب. فكل مشاعر المراهقة والأحاسيس القوية موجهه لزوجته الجميلة.
في طريق عودتة توقف أمام محل الزهور ليشتري لها ورد أبيض.
فهي تحب اللون الأبيض كثيرًا، وعلى الرغم أن لديها حديقتها الخاصة الآن إلا أنَّه يشتري لها الورود أسبوعيًّا.
فلا يوجد ما هو أثمن في الدنيا من ابتسامتها الخجولة وهي تنظر إلى الورود في يديه، والحضن الدافئ الذي يحصل عليه في كل مرة يهديها شيئًا حتَّى ولو كان ورود.
خرج من العمل مبكرًا اليوم فقد وعدها بعشاء رائع حجز طائرته الخاصة فالعشاء لن يكون بالقاهرة اليوم بل على أضواء الشموع على البحر الأحمر، مفاجأة فلم يخبرها سوى أنَّهم يتحضرون للعشاء معًا.
وصل المنزل في لهفة فهي تسمع صوت السيارة وعادة ما تترك ما

في يديها وتستقبله على باب المنزل فاتحة زراعيها. . . كم أحب زوجتي حدث سيد نفسه.
ببطئ أخرج المفاتيح حتَّى يتيح لها فرصة الوصول إلى الباب.
فتح الباب وأدخل يده أولًا حاملة باقة الورود البيضاء. . . لا أحد.
فتح الباب ودخل لا يوجد من هو في انتظاره؟
عهد. . . صاح سيد.
لا مجيب.
توجه سيد إلى الحديقة فلربما اشتغلت عهد بورودها ولم تسمعه قادمًا.
الأدوات بجانب حديقة الورود الخاصة بها ولكن عهد غير موجودة.
صعد مسرعًا إلى الدور العلوي فلربما ليست بخير لا يوجد أحد.
لا يمكن أن تكون قد خرجت بدون أن تخبرني بالإضافة إلى أن سيارتها بالخارج.
أخرج سيد هاتفه المحمول سريعًا فقد بدأ يشعر بالقلق واتصل بعهد. . .
الهاتف يرن بل في الحقيقة سيد بإمكانه سماع صوت هاتف عهد. . . إنَّها في المنزل.
هبط سريعا في اتجاة الصوت.

الهاتف على واحدة من الموائد الموجودة بجوار الباب لم يلاحظه بالطبع عند دخولة وبجواره مظروف أبيض كبير الحجم.
بخوف بالغ فتح سيد المظروف ونظر إلى محتواه. . .

***

تل العمارنة ١٩١١

هذا هو المكان اللي ستتحرك إليه حملتك الاستكشافية تحدث هنري سايمون إلى لودفيج بورشارت أو المعروف عالميا بهربرت:
هنا تبدأ وتنتهي حملتك في مصر.
-ولكن سيدي لا يوجد من ينقب في العمارنة.
-وذلك سبب أدعى أن نكون أول من ينقب فيها.
-حسب معلوماتي فقد تدمرت المدينة تمامًا منذ زمن بعيد، ولا يوجد بها أي مقابر أو ذهب أو أيًّا من الأشياء الثمينة التي يبحث عنها الجميع.
-وهل تعتقد أنِّي أبحث عن الذهب سيد هربرت؟
-لا سيدي، ولكن ربما أن نقلنا مكان الحملة للجنوب فيمكن أن نجد الكثير من الكنوز الفرعونية القديمة.
-تل العمارنة هي ما أريد أن تبحث بها.
-سيدي هل هناك شيء مثير للاهتمام تبحث عنه خصيصًا في

العمارنة؟

-كل ما قد تجده في العمارنة مثير للاهتمام!

***

الجميلة:

منذ أن وقعت عيناه عليها للمرة الأولى وهو يعلم أنَّها هي.

أنَّها جميلة الجميلات، مشاعر لا يمكن وصفها فهو يشعر براحة كبيرة بمجرد النظر إلى عيناها.

جعل يراقبها من بعيد لفترة طويلة هو يعلم كل حركاتها عن ظهر قلب الآن. ضحكتها وابتسامتها ونظراتها واِحمرار وجنتيها عندما تضحك!

ابتسامتها تنير قلبه وكلامها وإن كان لا يسمعه في أغلب الأوقات، ولكن مجرد حركة شفتاها وهي تتحدث معه متعة لا يمكن وصفها.

أحبها من النظرة الأولى فهي جميلة الجميلات وما شعر بداخله هو أنَّها المطلوبة هي من يريد أن يستيقظ يوميًّا ليراها بجواره هي من يريد أن يرجع إليها كل يوم بعد عناء اليوم.

هي في الحقيقة من يريد أن يشيخ بجوارها وأن يموت بين يديها.

لم يتصور في يوم من الأيَّام أن يقع فيما يسمى بالحب -أسطورة الأساطير- وها هو غارق فيه للنهاية لا تمر لحظة بدون أن يفكر بها.

طلب منها الزواج ووافقت.
أكبر لحظات السعادة في عمره لا يضاهيها أموال ولا سلطة فحبيبة عمرة وافقت أن تكون زوجته أمنية حياته تحققت. إن مت الآن أموت سعيدًا فقد حققت حلم حياتي!
جعلها أسعد زوجه في الكون، وكان محظوظًا جدًا فهي أيضًا تحبه!
لم يتخيل أن تكون هذه أحد النعم الكبيرة عليه أن تحبه زوجته، ولكنَّها نعمة كبيرة فهو يحبها وهي تحبه وتقف بجانبه في جميع قراراته فقد وهبت نفسًها له وهو وهب حياته لها أنَّه الحب القادر فعليًّا على عمل المعجزات.
وهو الآن بصدد عمل المستحيل من أجلها. . . فالجميلة يجب أن تبقي جميلة.
للأبد. . .

***

تشعر أنَّها مخدرة تمامًا.
يمكنها أن ترى ما حولها ولكن لا تستطيع أن تعطي أي ردة فعل.
هي تجلس على كرسي متحرك. . . ويتم دفعها. . . تتذكر وجود سيارة سوداء كبيرة ثمَّ تغيب عن الوعي.
طائرة ربما شاهدت طائرة كبيرة تمَّ دفعها إليها. . . كم من الوقت استغرقت الرحلة هي لا تدري؟
هل هو حلم؟ لا تستطيع أن تميز الحقيقة من الخيال هي ترى

شخصيات كثيرة وتحركات ولكن لا تعي ما يحدث حولها. جسمها الآن أكثر استرخاء فهي ممددة على سرير ناعم. حلم؟ ربما هو حلم غريب أو كابوس أصابها وستستيقظ الآن.

Welcome

بلكنة بريطانية مميزة سمعت صوتًا يرحب بها. هل تحلم بالإنجليزية الآن؟

حاولت فتح عينيها بصعوبة. وها هو أمامها.

شاب أجنبي أبيض البشرة قد يكون في الثلاثينات من عمرهِ مع لحية خفيفة وشعر أصفر قد أخذ وقته في تصفيفه وعيون خضراء واسعة مميزة جدًا. يرتدي ملابس رسميَّة بدلة سوداء وقميص أبيض ورابطة عنق سوداء. من الواضح أنَّه من الأغنياء أو موظف في مكان كبير. ولكن أين أنا؟

اعتدلت عهد من على السرير وهي تشعر بصداع كبير وتحاول أن ترى ما حولها وأن تحدد هل هو حلم أم خيال؟

هي الآن في غرفة واسعة ذات طراز أوروبي قديم، سرير كبير في منتصف الغرفة أدراج خشبية قديمة ودولاب للملابس، أريكة صغيرة بجوار واحدة من النوافذ والتي رفعت من عليها الستائر السميكة لإدخال ضوء النهار الخافت إلى الغرفة. أنَّها بالنهار.

باب صغير في يمين الغرفة وباب أكبر أمام السرير من الواضح أنَّه الباب الرئيسي للغرفة.

نظرت عهد الآن إلى الشخص الواقف أمامها:
-أين أنا؟
بلغة عربية سليمة أجاب الشخص.
-أنت في المملكة المتحدة. إنجلترا.
في البداية أرجو أن تقبلي اعتذاري عن الطريقة التي وصلتي بها إلى هنا وأؤكد لك أنَّه لم يوجد بديل آخر للآسف الشديد.
عهد تحاول أن تستوعب ما يحدث لها.
-أعتقد أنَّه يوجد سوء تفاهم كبير -أنتم تريدون شخصًا آخر- لماذا أتواجد في إنجلترا؟
بهدوء شديد وبلغته العربية الفصحى، والتي تخرج غريبة مع هيئتة الأوربية!
-كما قلت أنا أعتذر عن الأسلوب الهمجي الذي قمنا باتباعه ولكنَّك في المكان الصحيح ولا يوجد أي اخطاء. وتأكدي إنَّه خلال خمس أيام يجب أن تعودي إلى بيتك وبدون أي مشاكل ويمكن أن ننسى جميعا هذه المحنة الصغيرة.
خمس أيام؟ تزداد حيرة عهد فهي لا تفهم ماذا يحدث حولها! قامت من على السرير وتوجهت إلى الباب الكبير أمام السرير حاولت فتح الباب. لم تستطع فهو مغلق. توجهت نحو الباب الأصغر بجانب الغرفة، إنَّه حمام مرتبط بالغرفة.
-سيدتي للأسف لا يمكنك مغادرة الغرفة إلا بعد الخمس أيام

المحددة.
توجهت عهد بسرعة ناحية الشباك. شباك كبير في الحجم نظرت للخارج. . . لا يوجد شيء.
لا يوجد شيء على مد البصر لا مباني ولا بيوت ولا عربات ولا حتَّى أفراد. . . مجرد مساحات شاسعة من الحقول الخضراء، والأشجار على مد البصر.
-هل أنا محتجزة في إنجلترا؟
-قد لا استخدم هذا المصطلح ولكنك في ضايفتنا لمدة خمسة أيام. وكل طلباتك مجابة كل ما تحتاجين إليه يمكنك أن تطلبيه وأن تتحركي بحرية داخل هذه الغرفة. أشار إلى هاتف بجوار السرير. هذه الهاتف موصل بغرفة الخدمة كل ما تطلبينة مجاب. نصيحتي لا تحاولي الهروب فعلى مسافة قطرها أكثر من ٢٠ كيلو متر من هذا المكان لا يوجد غيرنا.
-ماذا أفعل هنا؟ ولماذا أنا؟
-قد لا أستطيع أجابتك عن هذا السؤال الآن وسيكون هناك من سيتحدث معك لاحقًا كل ما يمكنني قوله. . . إنَّنَا في حاجة للمساعدة من صديق قديم لك وفكرنا أن نعطية حافز لمساعدتنا.
-مين؟ سألت عهد.
-حسين محمد المصري. . .

***

يجب أن أهرب من طيبة:
كهنة أمون لا يحبوني. وأنا لا أحبهم لا أعترف بإلهتهم ولا بأمون نفسه يجب أن نتحرر من عبودية الإلهة المتعددة كل أوامرهم قادمة من الإله على الرغم من أنِّي متأكد أنَّها تصدر منهم شخصيًّا.
والدي لا يستطيع أن يقاومهم ولا أن يرفض لهم طلب فهم رسل أمون كما يدعون.
لا يريدون العلم وهو أكبر اهتمامته.
كان يريد أن يترك طيبة في جميع الأحوال عندما يعتلي شقيقه العرش ولكن الآن تغيرت الأمور فقد مات أخوه، وأصبح هو الوريث الوحيد للعرش.
اقترح عليه والده أن يشاركة الحكم حتَّى يتعلم كيفية إدارة أمور الدولة والتعامل مع الأمور الداخلية والخارجية.
قرر أن يفاتح والده برغبته بعمل عاصمة جديدة لمصر وأنَّها ستكون مقرًا للفنون والعلم والذي يمنعه كهنة أمون في طِيبة.
حاول أن يقنع والده أن كهنة أمون يقهرون كل أنواع الفنون المختلفة عمَّا تعودوا عليه وأن كثيرا من العلماء والفنانين المصريين لديهم الكثير ليقدموه لمصر إذا اتيحت لهم الفرصة.
سمع أمنحوتب الثالث من ابنه أحلامه لمصر جديدة واعتراضه على حكم كهنة أمون باهتمام فهو في النهاية وريثة الوحيد الآن وسيجلس على عرش مصر لا محاله.

اقترب امنحوتب من ولده:
-ستجلس على عرش مصر قريبًا وحدك وهي مسئولية كبيرة فمصر تتحكم فيمن حولها أولًا ويجب أن يراك الجميع قويًّا خارجيًّا وداخليًّا. أنت ابن الإله ويجب أن يقدسك الشعب وأن يخاف من حولك منك. والأهم لا يمكن أن تكون وحيدًا على عرش مصر. يجب أن يكون لك ملكة وأن يكون لك وريثًا في العرش.
لم يتوقع أمنحوتب الرابع كلام والده وأنَّه لن يتجادل معه في موضوع العاصمة الجديدة وعن اعتزامة لترك طيبة. بل والده يعطيه نصائح من أجل حكم مصر ويطلب منه الزواج. لا ينكر أنَّه يفكر في الموضوع ليس ليوجد ملكة تحكم مصر ولكنه واقع في الحب من فترة من الزمن. منذ أن رأها للمرة الأولى وهو يحبها ويراقبها من بعيد. الآن هو وريث عرش مصر وملكها المستقبلي. الآن يمكن أن يطلب منها الزواج. الآن يمكن أن تكون ملكة مصر الأولى والوحيدة.
ليس وحده من يعتقد أنَّها جميلة الجميلات فكل من وقعت عينه عليها في طيبة لم يروا جمالًا مثل جمالها من قبل. قد لا ترفض طلبي الآن فأنا في النهاية ابن الملك والوريث الشرعي لمصر ولكن قبل هذا أنا أحبها جدًا. خرج أمنحوتب الرابع من قصر والده متوجها إلى حبيبته فقد أخذ مباركة والده بالزواج.
طوال الطريق يفكر كيف سيفاتحها في حبه وطلبه للزواج منها،

ولكنه يجب أن يسرع قبل أن يسبقه احد إليها تشجع وتقدم نحو بيتها.
وقف قليلًا أمام البيت وها هي تخرج أماماه هي الجميلة.
تقدم ناحيتها ووقف أمامها منبهرا بجمالها الباهر رقبتها الطويلة وسمرة وجهها وعيناها الواسعتان. تشجع وأخذ نفس عميق وتحدث:
-أنا أمنحوتب الرابع.
-أنا عارف من تكون سيدي أنت وريث عرش مصر. . . . تحدثت بخجل!
-أنا أحبك جدًا وأريد أن تكوني زوجتي وملكة مصر!
تفاجأت من كلامه ولم تستطعْ أن تخفي احمرار وجنتيها من الخجل والفرحة في نفس الوقت. فأمير مصر وملكها المستقبلي لا يعرض فقط عليها الزواج لتكون ملكة مصر وهو ما يكفي لأي فتاة في طيبة أن ترتمي تحت أقدامه. . . بل يقول أنَّه يحبها. . .
لا توجد في العالم امراة لا تريد أن تحب وأن يخبرها من يحبها بأنَّه يحبها. حاولت الكلام ببطئ وهي تنظر إلى الأمير الوسيم الواقف أمامها يعرض عليها الزواج.
-سيدي الأمير أنت لا تعلم من أنا؟ وأسرتي ليست أسرة ملكية.
-لا يهم من أنت ولا من أين أتيت. ولا تهم أسرتك فعندما تكونين زوجتي ستحملين الدم الملكي معي وستصبحين من الأسرة

الحاكمة وملكة مصر.
-سأهب لك قلبي وعمري في مقابل شيئًا واحدًا فقط. . . أريد أن أكون الوحيدة في حياتك،
-أعدك بأكثر من ذلك.

***

في بيته في القاهرة:
أمسك سيد هاتفه وقام بالاتصال:
-حسين عايزك في بيتي حالًا.
-في إيه يا سيد؟ أنت بخير؟
-للأسف لأ محتاجك ضروري!
أسرع الدكتور حسين محمد المصري إلى بيت صديق عمره سيد الأقصر.
بعد اكتشاف أكبر كنوز مصر الفرعونية القديمة وتنازل أشرف النعمان عن ثروته لسيد أقام سيد في القاهرة ليتابع أعمال أشرف ويبقي قريبًا من صديق عمره الذي أمضى الوقت في كتابة مذكرات رحلتهم معًا للبحث عن صندوق العهد أو لمتابعة أعمال ترتيب المقتنيات في متحف الدكتور مصطفى الشاعر الجديد والذي يحمل أثمن كنوز الفراعنة المكتشفة في العصر الحديث.
وصل حسين إلى بيت سيد ودخل بسرعة وفي انتظاره على الباب وقف سيد وعلي وجهه مزيج من نظرات الحزن والخوف لا

يخفيها سمار وجهه المميز.
-في إيه؟ إِنت خوفتني؟
مد سيد يديه إلى المظروف الأبيض الكبير وأعطاه إلى حسين.
بسرعة فتح حسين المظروف لينظر إلى محتواه:
صورة لبعض الكتابات الفرعونية، الكتابات حديثة حيث أنَّها بقلم وليس نقوشات على معابد. صفحة واحدة مليئة بالكتابة اللغة المصريَّة القديمة. . . فقط لا يوجد شيء آخر.
-أنا مش فاهم حاجة؟
نظر سيد إلى حسين.
-أخدوا عهد يا حسين.
-مين اللي أخدوا عهد؟ أنا مش فاهم.
-أيًّا كان اللي عايزينك تدور على الحاجات اللي في الصورة دي. أخدوا عهد.
-ده حصل اِمتى؟
-مش عارف بالظبط أن سيبت البيت الصبح كعادتي يمكن من أكثر من ٥ أو ٦ ساعات.
بدأ هاتف حسين في الرنين ثمَّ توقف لقد جائت له رسالة على هاتفه هم بتجاهلها ولكن لفت نظره إنَّها فيديو مرسل إليه من رقم مجهول.
فتح حسين الفيديو:

رجل يقف في شاشة سوداء تمامًا ولا يظهر منها أي شيء في الخلفية.
تحدث بلغة عربية فصحى:
الدكتور حسين محمد المصري، من المفروض أن تكون قد وصلتك رسالتنا الآن واسترعينا اِنتابهك.
تتحول الشاشة الآن إلى غرفة مغلقة بطراز أوروبي قديم وفي منتصف الغرفة وعلى السرير الموجود تجلس عهد وحيدة في الغرفة.
نظر سيد إلى زوجته وبدأت الدموع تنهمر من عينية فعلى الرغم من أنَّه يراها بحال جيد لكنه لا يعلم أين هي وماذا يريد خطفوها.
تتحول الآن الكاميرا لتحت السرير الموجوده عليه عهد وتقترب أكثر فأكثر في مكان مخفي بين أخشاب السرير، وتقف الآن على مؤشر وقت ساعة صغيرة وتشير الساعة إلى رقم ١٢٠.
نظر حسين وسيد إلى الساعة مرة أخرى، ولاحظ الآن أن عداد الثواني يتناقص ولا يتزايد.
تحركت الكاميرا الآن لشيء أكثر رعبًا. . . مجموعة كبيرة من أصابع الديناميت متصلة بالساعة وكلهم تحت السرير الذي تجلس عليه عهد.
تحدث الصوت مرة أخرى بنفس العربية الفصحى:

دكتور حسين المهندسة عهد في سلام الآن، ولن يقترب منها أحد وكل طلباتها مجابة ولكن لن يستمر الوضع قائمًا لفترة طويلة.
كما رأيتم فكمية المتفجرات المرتبطة بغرفتها كافية لتدمير حي صغير وليس غرفة نوم فقط.
وكل ما تملكون لإنقاذها ١٢٠ ساعة بدأت من وصول الفيديو إليك، خمس أيام فقط لإنقاذ صديقتك العزيزة وزوجة صديقك المقرب.
أرجو ألَّا تضيع وقتك الثمين في البحث عن المكان الذي تتواجد فيه عهد، ونصيحتي أن تبدأ في البحث فورًا. . .
انقطع الصوت وبقي العداد تتناقص أرقامه أمام حسين وسيد. . .

***

مصر ١٨٨١

يجب أن تتغير الأمور في مصر. يجب أن لا نسمح لكل من هب ودب أن ينقب عن آثار مصر ويقوم بسرقتها. على الجميع أن يتوقف الآن.
قد يكون الكلام مقنع جدًا لأي مستمع. . . ولكن ليس عندما يصدر من أحد الأجانب في مصر.
السيد جاستون ماسبيرو والذي تولى منصب مدير مصلحة الآثار المصرية وأمين المتحف المصري للآثار ببولاق خلفا لعالم الآثار

أوجوست مارييت.
السيد ماسبيرو فرنسي الجنسية لأبويين من أصول يهودية إيطالية، يتحدث اللغة العربية بطلاقة بالإضافة إلى إنَّه من القلائل في العالم والذين يستطيعون فهم وترجمة النصوص الفرعونية ببراعة شديدة. السيد ماسبيرو من أكثر الشخصيات الأوربية المكروهة في مصر فالرجل على الرغم من أنَّه فرنسي الجنسية يدافع عن الآثار المصرية أكثر من المصريين أنفسهم وقام بوقف عمليات السرقة والتنقيب الغير قانوني عن الآثار.
أحمد كمال بيك أحد علماء الآثار المصريين ويعمل في مصلحة الآثار المصرية مع السيد ماسبيرو.
- سيدي أنت بالفعل أوقفت الكثير من الحفريات، وهناك رقابة شديدة على ما يخرج من مصر حاليًا. أجاب أحمد كمال.
-لا يكفي سيد كمال لا يكفي يجب أن تقف التنقيبات الغير قانونية من المنبع . تجار الآثار في الخارج يحصلون على بعض القطع النادرة من جنوب مصر. ويجب أن نوقف من يقومون بهذه التنقيبات.
-هناك العديد من يقومون بالتنقيبات في جنوب مصر من المصريين والأجانب.
-لا سيد كمال أنت تعلم من أعني بالتحديد فهم أكبر سارقي الكنوز المصرية والأكثر عددًا.

-أنت تتحدث عن عائلة عبد الرسول؟ لم تستطع الدولة إيقافهم منذ عقود.
-لقد حان وقت إيقافهم الآن لقد تحدث مع الخديوي توفيق وهو أمر بالدعم الكامل لحملتنا في الجنوب سنقبض على عائلة عبد الرسول كلها وسيخبرونا بمكان مصادر الآثار التي يأتون بها.
-لن يكون الأمر سهلًا سيد ماسبيرو.
-لقد طلبت من الخديوي استخدام كل الطرق المشروع منها والغير مشروع أنا متأكد أنَّهم يعلمون مكان واحد من أكبر الكنوز الفرعونية، وإن لمْ تكنْ أكبرهم على الإطلاق وحان الوقت لإخراجها، البعثة تتحرك غدًا ومعك قوة كبيرة من الشرطة المصرية وستضربون حصارًا كبيرا على الجبل وتقبضون على كل من يقف في طريقكم.
برقيه عاجلة للسير جاستون ماسبيرو. . .
-تم القبض على عائلة عبد الرسول –تم الاعتراف بمكان خبيئة تحتوي على عدد كبير من المومياوات الفرعونية على الأقل عشرون مومياء بالإضافة إلى آثار أخرى- أحضر فورًا- أحمد كمال.

***

اتصل بيوسف حالًا:
صاح حسين وجلس في غرفة المعيشة بسرعة ينظر إلى الصورة الموجودة في المظروف الأبيض.

- ماذا يريدون وأين عهد؟
-اِحنا لازم نتحرك بسرعة. صاح سيد:
-أنا عارف بس لازم تحاول تهدأ لأن لازم تحركاتنا تكون مدروسة لازم نعرف هانروح فين؟
-الوقت بيمر وأنا خايف على عهد.
-وأنا كمان خايف عليها بس لازم نفكر بهدوء – فين يوسف؟
-في الطريق.

بعد مساهمته في اِكتشاف أكبر كنز فرعوني في تاريخ مصر الحديثة افتتح يوسف واحدة من أكبر شركات البرمجة والإلكترونيات العالمية مع عقود دولية في مصر وخارجها وأصبح من أشهر مبرمجي البرامج والألعاب حول العالم.

وصل يوسف وحاول طمأنة سيد أن عهد ستكون بخير.
-هو أنت ممكن توصل لمكان بث الفيديو؟ سأل حسين.
-آه طبعا ممكن التليفون بتاعك؟

قام يوسف بتوصيل موبايل حسين بالكمبيوتر الخاص به بينما جلس حسين وسيد أمام الصورة، وأمسك حسين بورقة وقلم لمحاولة فك طلاسم الكتابات الفرعونية. بالإضافة لكونه واحد من أكبر علماء البحار في مصر والشرق الأوسط فشغف حسين هو الحضارة الفرعونية، وهو من القلائل في مصر الذين يستطيعون ترجمة وتفسير النصوص الهيروغليفيَّة بدقة شديدة.

-عندنا مشكلة. صاح يوسف. . . أنا توصلت لمكان البث.
-وإيه المشكلة في كده؟ اقترب سيد وحسين من كمبيوتر يوسف.
-البث من ١٢ دولة مختلفة في ٥ قارات؟
-يعني إيه ؟ سأل سيد:
-يعني الناس اللي بنتعامل معاهم محترفين جدًا والبث محمي بشكل كبير جدًا وهيأخد وقت طويل جدًا لتحديد المكان.
-نظر سيد إلى الوقت ١١٩. . . مفيش وقت فات ساعتين بالفعل حسين لازم تفهمني في إيه؟ والناس دول مين وعايزين إيه؟
جلس حسين ونظر إلى الصورة أمامه. أنا تقريبًا عارف إيه ده بس مش عارف إيه علاقته بعهد وبينا.
في ترقب نظر سيد ويوسف إلى حسين. . . إيه ده؟
-ده كتاب الموتى. . .

***

أريد أن أغير مصر:
جلس أمنحوتب الرابع مع زوجته الجميلة يتحدث معها بعد وفاة والده أمنحوتب الثالث .
-أنا معك في أي مكان زوجي العزيز.
-أنا لا أعتقد في وجود إلهة كثيرة فهو شيء لا يمكن في الحقيقة وخلاف الإلة وصراعهم ضد البشر ماذا يعني كل هذا؟
-زوجي العزيز نحن في مصر نقدس كل الإلهة هل تريد إلَّا يكون

لمصر إله؟ هل تريد أن تعصي أمون؟
-لا أنا أعلم أنَّه يوجد إله - ولكنه إله واحد فقط لا شريك له لا يمكن أن يكون معه إلهة أخرى.
-ومن هذا الإله هل تعني أمون فهو كبير الإلهة؟
-لا أنا أعني أتون فهو الإله الأكبر والأوحد وهو من يجب أن نعبده ويعبده المصريين.
-زوجي الحبيب أنت تعلم أنِّي معك في أي مكان وسأعبد أي إله تعبده، ولكن نصيحتي إليك ألا تتحدى كهنة أمون ولا تهدم معابدهم أو معتقدات المصريين حتَّى لا تثور الدولة ضدك وأنت تعلم كم أقوياء هم كهنة أمون.
-وماذا تقترحين؟
-أقترح أن تعرض الأمر على المصريين تدريجيًّا بدون هدم معتقاداتهم وأن ننتقل إلى مدينتك الجديدة التي تبنيها بعيدًا عن طيبة فيتسنى لنا عبادة الإله الواحد بعيدًا عن أعين كهنة أمون.
-وستنتقليين معي وتتركين طيبة؟
-نعم زوجي الحبيب فأنا معك في كل مكان.
تحتمس فلتعلن الخبر في أرجاء مصر سأغير اسمي من اليوم من أمنحوتب الرابع إلى أخناتون وستنتقل عاصمة مصر إلى أخيتاتون الجديدة، وهناك سنبني أكبر معبد في مصر للأله الواحد وهناك

سيزدهر العلم والفنون والتي منعها كهنة أمون لسنوات طويلة، ستكون أخيتاتون ملاذ كل علماء وفنانون مصر.

***

ديسمبر ١٩١٢

الرسومات الفرنسية من كتاب وصف مصر هي الأساس في التقيبات الآن فقد زار نابليون بونابارت والحملة الفرنسية تل العمارنة وقاموا برسم خرائط دقيقه للمكان. الآن بعثة ألمانية كاملة تقوم بعمليات التنقيب.
لودفيج اِختار الجزء الشرقي من المدينة للتنقيب –لا يدري ما يبحث عنه حتَّى الآن مجموعة من الفخاريات والتماثيل الغير مهمة والسيد هنري سايمون ينتظر منه أخبارًا جيدة قريبًا- هو سخي جدًا بالنسبة ليهودي ولكن لا يمكن أن يستمر في دعم الحملة الألمانية إذا لم أجد له شيئًا قيمًا قريبًا.
-ابحث عن الجميلة - هذا أخر ما قاله السيد هنري سايمون للودفيج قبل رحيلة إلى مصر:
-أي جميلة؟ هل كان من الممكن أن يكون أكثر تحديدًا.
-سيدي أعتقد أنَّنَا قد وجدنا شيئًا.
-ماذا وجدتم؟
-تبدوا أنَّها ورشة فنية لأحد الفنانين القدماء الغريب أن كل ما

وجدناه بها مجموعة من التماثيل الغير مكتملة لشخص واحد. أو بالأحرى لامرأة واحدة.

-اِمرأة؟ هل هي الجميلة التي تكلم عنها هنري يجب أن نزيد البحث.

-أريد تغطية المكان بالكامل يجب إخراج كل ما يوجد في هذه الورشة.

يوم ٦ ديسمبر ١٩١٢

لا يمكن وصفها إنَّها فعلا رائعة الجمال – إنَّها جميلة الجميلات لا يوجد مثيل لها.

-فجأة، أصبح بين أيدينا أفضل الأعمال الفنية المصرية الباقية. لا يمكن وصف ذلك بالكلمات، لا بد أن تراه- هذا كان نص رسالة لودفيج إلى هنري سايمون.

-أريدها في ألمانيا فورًا. . .

***

كتاب الموتى:

-إيه علاقة كتاب الموتى بعهد وبينا؟ سأل سيد.

-أنا فعلًا مش فاهم بس خليني أترجم كل الكلام هو مكتوب جديد، وليس فرعوني فهو حد باعت لينا رسالة بس بنقوش

فرعونية.
-إنت ممكن تترجم الرموز دي صح؟ سأل يوسف.
-هحاول.

- السلام عليك أيها الإله الأعظم إله الحق.
لقد جئتك يا إلهي خاضعًا لأشهد جلالك،
جئتك يا إلهي متحليًا بالحق، متخليًا عن الباطل، فلم أظلم أحدًا
ولم أسلك سبيل الضالين،
جنتك أقدم لك العين. إنَّها العين التي قد أنارات الظلمات،
إنَّها عين أتون اليسرى رفعت في السماء وعادت بها الحياة كاملة
صحيحة بلا عيوب. عين خبيئة أمون ستبقى في الجسد محفوظة
حتَّى الكمال. . . -.

-مش فاهم حاجة، الكلام ده مين اللي كاتبه؟ تعجب سيد.
-هو الكلام ده من الأنجيل، ولا من القرآن ولا من أي كتاب سماوي؟ سأل يوسف.
-دي كلمات من كتاب الموتى الفرعوني. أجاب حسين.
-بس الجزء الأول تحس إنَّه إسلامي أو مسيحي جدًا ده مش كلام عبدة أصنام. ده توحيد خالص.
-ده حقيقي بس خليك فاكر إن في فترات طويلة من حكم الفراعنة

كان في توحيد.
-أنا لسه مش فاهم إيه علاقة دي بينا وبعهد واللي باعت الصورة دي عايز إيه؟
-أنا لسه مش فاهم بس النص فيه حاجه غلط. أنا متأكد إنَّه من كتاب الموتى، ولكن لسبب ما حاسس إنَّه في كلمات أو إضافات غريبة على النص يعني مثلا إضافة الأله أتون في النص. أنا متأكد إنَّه كان الأله رع مش أتون. أتون كان في فتره إخناتون فقط وتمَّ حذفه بعد الأسرة الثامنة عشر ومكنش ليه ذكر في كتاب الموتى.
-يوسف. ممكن تنزل لي نسخة من كتاب الموتى للسير والس بيدج . طلب حسين.
-في ثواني كان يوسف قد حصل على نسخة من الكتاب. ممكن أعرف إِحنا بندور على إيه؟
-تقريبا الفصل ١٦ أو١٧ بيتكلموا عن بعض الترانيم والتعاويذ في تمجيد رع وفيها تعويذة الخلود.
-تعويذة الخلود؟ يعني إيه هما كانوا خالدين؟
-أجاب حسين، موضوع الخلود تمَّ تفسيره بالحياة الآخرة يعني القدماء المصريين كانوا بيعتقدوا في الحياة بعد الموت وبالحساب والعقاب وإن الشخص قلبه بيتم وزنه وإن كان صالحًا فيخلد في النعيم. وده سبب إن الميت بيدفن بكل متاعه علشان يستخدمه في رحلته للحياة الآخرة. ده ما يمنعش إن في مؤرخيين تانيين

بيعتقدوا أن المقصود الخلود فعليًّا وإن المصريين القدماء وصلوا بعلمهم لسر الخلود.
-أنا تقريبًا وصلت لنص شبيه باللي في الصورة. صاح يوسف.
أمسك حسين بالنص وجلس يقارن النصوص، النص الرئيسي بيتكلم عن رع وعن العين اليمنى وليست اليسرى ولا يوجد أي إشارة إلى الخلود أو إلى خبيئة أمون.
في حد غير النص. واللي غيره خبير في اللغة. اللغة المصريَّة القديمة.

***

أخيتاتون:
بالإضافة إلى عبادة الإله الواحد والثورة الفنية والعلمية الكبيرة شهدت أخيتاتون واحدة من أقوى قصص الحب الفرعونية فأخناتون واقع في غرام زوجته (نفرتيتي) رفيقة عمره تحدث الجميع في العاصمة الجديدة عن حب الملك لزوجته فهو الملك الوحيد منذ فترات طويلة الذي لم يتزوج كثيرًا أو يتخذ خادمات أو نساء كثيرًا حوله.
وكيف لا يحبها ونفرتيتي جميلة الجميلات فهي أجمل نساء مصر بلا منازع. خمريَّة اللون وشعر أسود كسواد الليل رقبة طويلة وجبهة عريضة تزينها بتاجها المميز. طويلة وعيناها سوداء تقع في حبها من أول نظرة.

ست بنات كانوا نتيجة قصة الحب الكبيرة بين إخناتون ونفرتيتي ورغم إصرار الكهنة من حوله وطلبهم المتواصل لإخناتون بالزواج من أخريات حتَّى يتسنى له إنجاب الولد، الخليفة الذي يؤل له عرش مصر بعد إخناتون رفض الملك أن يكون مع أحد غير حبيبته جميلة الجميلات.

ست بنات هم أجمل الجميلات نتاج سنوات جميلة يحب فيها الملك زوجته والتي شاركته عبادة أتون وشاركته كل أحلامه بتحويل مصر إلى مكان لعبادة الإله الواحد وتحويل إخيتاتون إلى مركز للتطور العلمي والفني الحديث بعيدًا عن طيبة وكهنة أمون.

-زوجي العزيز أيَّها الملك يجب أن تتزوج من أخرى.

تعجب إخناتون مِمَّا يسمع، فها هي زوجته المحببة تطلب منه الزواج من أخرى.

-ولكن لا يمكنني أن أكون مع أحد غيرك. فأنا أحبك.

-وأنت تعلم أنِّي وهبت لك نفسي وعمري ولكن يجب أن يكون لك وريث وإلَّا انتهى حكمنا للأبد.

-كيف يمكن أن أتواجد مع امرأة غيرك وربما مع الوقت يمكننا أن ننجب الولد.

-لقد حاولنا كثيرًا زوجي العزيز وقد حان الوقت ليكون لك وريثًا لعرش مصر. ويجب أن يكون من دم ملكي صافي.

وبالرغم من عدم اقتناع إخناتون بطلب زوجته إلَّا أنَّه وافق لايجاد وريثًا لعرش مصر وقامت نفرتيتي باختيار الزوجة الجديدة لإخناتون إنَّها (كيــــا) أخت إخناتون. فقد حرصت نفرتيتي ألَّا يقع إخناتون في حب امراة غيرها ولذلك وقع الاختيار على أخته لتكون زوجه له وكان من المتعارف عليه في العائلات المالكة زواج الأقارب ولم يصعب إقناع إخناتون أو الكهنة أن هذا لضمان نقاء دماء المولود. وليس غيره امرأة تحب زوجها.

فترة صغيرة من الزواج من أخته كيا انتهت بإنجاب كيا للولد الطفل المنتظر وريث العرش الجديد (توت عنخ أتون).

بعد إنجابها لتوت انتهى دور كيا وأمرت نفرتيتي الأخت بالعودة إلى طيبة على أن تقوم هي بتربيه توت مع بناتها كأم له. وهو ما وافق عليه إخناتون بسهولة.

في قصرهِ في عاصمته الجديدة طلب إخناتون تحتمس صديقه المقرب للحضور للقصر.

تحتمس فنان ونحات بالإضافة إلى كونه كيميائي عبقري وطبيب.

نبغ في تكوين الألوان واستخدام الأعشاب في العلاج بالاضافة إلى قدرته المتميزة في النحت وإن كان أسلوبه لمْ يجد رواجًا في طيبه ولكن في إخيتاتون فقد اختلف الوضع وسمح له الملك أن يبدع بدون قيود ولمع اسمه كونهُ الفنان الوحيد للقصر.

-سيدي الملك، علمت أنَّك طلبت مجيئي إلى القصر.

-تحتمس أنت تعلم كم أحب زوجتي.
-نعم سيدي فكل إخيتاتون تعلم حبك للملكة الجميلة.
-لا أنت لا تعلم فأنا أحبها كل يوم أكثر فأكثر كلما أنظر إلى وجهها كأنِّي أراها للمرة الأولى لا أستطيع الحياة بدونها ولا أقدر أن تبعد عن ناظري لحظة. تحتمس أنا أريد تخليد زوجتي.
-بالطبع سيدي سأقوم بعمل تمثال بالألوان الطبيعية يخلد الملكة الجميلة للأبد.
لا أنا لا أريد تمثالًا لزوجتي أنا أريد لها الجمال الدائم أريد لها الخلود.

***

التمثال غير مكتمل:
فترات طويلة قضاها لودفيج وفريقه الألماني في البحث في تل العمارنة للبحث عن القطعة الباقية من التمثال.
فأجمل تمثال فرعوني وقعت عليه عيناه وهو الخبير بالمصريات ينقصه العين اليسرى.
هل كان هذا مقصودًا مثل ما كان يفعل الأغريق في تمثيل اِفروديت إلهه الحب والجمال بدون زراعين؟ أم هي كانت فعلًا بعين واحدة لا يدري؟
العجيب إن الأستمرار في التنقيب في المنطقة أسفر عن مفاجأة أكبر فقد وجدوا العديد من التماثيل لنفس الملكة غير مكتملة

كلها للوجه فقط. نعم هي في غاية الجمال ولكن هل هذه ورشة لعمل تماثيل لها فقط؟ ولماذا التمثال الوحيد بألوانه المميزة يفتقد إلى عين؟

ليس كل هذا ذا أهمية الآن. الأهم كيف سيقوم بإخراج التمثال من مصر وإلى ألمانيا. فالسيد هنري سايمون يطالب بالتمثال بسرعة. جميع أعمال التنقيب تتم بموافقة الحكومة المصرية ممثلة في مصلحة الآثار المصرية وهو يعلم يقينا أن السيد ماسبيرو لن يسمح بأي حال من الأحوال بخروج رأس الملكة من مصر فهي لا يوجد لها مثيل وجمالها آخاذ حتَّى والتمثال غير مكتمل.

يجب أن أتصرف فورًا. أمر لودفيج بتجميع كمات كبيرة من الفخار المصري المحطم والذي لا قيمة له ووضع التمثال أسفل كميات الفخار المحطم.

قام بإرسال التمثال مع الفخار إلى منزلة في الزمالك وطالب باجتماع مع ممثل لمصلحة الآثار المصرية. في الاجتماع أظهر لودفيج نسختين من تمثال الملكة مهشمين تمامًا وصندوق من الفخار المحطم واقنع المندوب المصري أن هذه الأشياء هي كل ما وجده في تل العمارنة حتَّى الآن. وأنَّه يجب إرسال الفخار المحطم إلى المانيا للترميم.

باستهتار نظر المندوب المصري إلى كميات الفخار المحطم والتي قد رأى منها آلاف من قبل وبدون التدقيق وافق على خروج

الشحنة إلى المانيا لعدم أهميتها من وجهه نظرة.
ونجح لودفيج في أكبر عملية سرقة عبر العصور للتاريخ المصري.
وخرج تمثال نفرتيتي إلى ألمانيا. . .

***

١١٦ ساعة :
الوقت يمر ويجب أنت نتحرك سريعًا – صاح سيد:
-أنا مش فاهم إيه علاقة كتاب الموتى بينا؟ وإيه معنى إن الكلام متغير في الصورة؟ مين اللي كاتب الكلام ده الصورة شكلها قديمة؟ حسين إنت لازم تفكر بسرعة.
-يوسف ممكن تكتب الكلام اللي هاقولك عليه على النت وتعمل بحث وتشوف إيه النتائج؟
-طبعًا.
-العين المفقودة – الخلود - خبيئة أمون - كتاب الموتى. . .
-فليم عربي قديم دي نتيجة البحث .
تعجب سيد – فيلم إيه؟!
-نتائج البحث فيلم عربي قديم. أجاب يوسف ومش أي فيلم ده فيلم أخد أحسن فيلم عربي عبر التاريخ من ١٠٠ فيلم عربي هو رقم ١ – فيلم المومياء لشادي عبد السلام.
-المومياء؟ ممكن يكون صحيح تسائل حسين.
-حسين هو إنت بجد بتفكر إن فيلم عربي قديم ليه علاقة باللي

إحنا فيه؟

-هو مش أي فيلم عربي قديم. ده شادي عبد السلام وهو عن قصة حقيقية، أو على الأقل كان المتعارف إنَّه جزئيًّا عن قصة حقيقية بس في الحقيقه الورقة اللي معانا بتأكد قصة شادي عبد السلام كلها.

-ممكن بسرعة تشرح لينا لأن واضح إن انت الوحيد اللي فاهم؟

-شادي عبد السلام في الفيلم كان بيتكلم عن تجارة الآثار في مصر وأخذ عائلة من سكان الجبل وسماهم (الحربات) كمثال لقبيلة عايشه على تجارة الآثار وبيتوارثوها والدولة بتحاربهم لاستعادة الآثار.

-وإيه علاقة ده بينا الآثار بتتسرق في مصر من زمان؟ سأل سيد.

-الحقيقه إن القصة قصة حقيقية لعائلة كانت موجودة زمان اِسمها عائلة عبد الرسول واللي وقفهم كان جاستون ماسبيرو.

-ماسبيرو؟ ده زي مبني الإذاعة والتلفيزيون؟ سأل يوسف.

-دي حقيقة مبنى الإذاعة والتلفيزيون في مصر متسمي على اسم السيد جاستون ماسبيرو تكريمًا له. السيد ماسبيرو كان عالم مصريَّات فرنسي لأبويين من إيطاليا تعلم العربية وكان يدرسها في فرنسا بالإضافة إلى نبوغه في علم المصريات، وكان من القلائل اللذين يتمكنوا من فك طلاسم الهيروغلوفية، وفهم النصوص القديمة.

ماسبيرو وصل مصر في يناير ١٨٨١ كبديل للسير ماربيت اللي كان مدير مصلحة الآثار المصرية وبعد ١٣ يوم بس من وصول ماسبيرو ماربيت تُوُفِيَ ومسك ماسبيرو المنصب وغير كل حاجة في تاريخ الآثار في مصر. ببساطة ماسبيرو الفرنسي بطل قومي مصري. ماسبيرو منع الحفريات والتنقيب عن الآثار في مصر وقدر من خلال علاقته بالخديوي إنَّه يصدر قرار ملكي بوقف عمليات التنقيب والبحث عن الآثار إلَّا بموافقة رسمية من مصلحة الآثار وإنَّه يجب ترك مكان التنقيب بصورة لائقة. ماسبيرو فرض رسوم للمرة الأولى لزيارة المزارات الفرعونية لدعم أعمال الترميم والتنقيب.

-ده كله جميل أي علاقة ماسبيرو بالصورة اللي قدمنا دي؟ سأل سيد.

-العلاقة في الفيلم – شادي عبد السلام ابتدى الفيلم بنص من نصوص كتاب الموتى مش نفس النص ده بس من نفس الكتاب والقصة بتحكي عن عين ذهبية كانت موجودة في خبيئة أمون اللي كانت عائلة عبد الرسول تعرف مكانها.

يوسف: خبيئة أمون؟ دي زي اللي في النص اللي معانا.

-خبيئة أمون دي كانت زي مغارة في الجبل المؤرخيين بيقولوا إن في نهاية الدولة الفرعونية، ومع كثرة الغزوات الخارجية على مصر وسرقة قبور الفراعنة وممتلكاتهم، قرر كهنة أمون حماية بعض

الممتلكات الثمينة بعيدًا عن الأهرامات والمعابد وتمَّ اختيار مكان مهجور في الجبل بدون أي معالم لدفن هذه الكنوز.

-والمكان ده عرفته عائلة عبد الرسول؟

-التاريخ بيأكد إن العائلة اِكتشفت المخباء، وكان سر بيتوارث في العائلة وكل فترة يطلعو شيء من الخبيئة يبيعوه ومع انتشار مواد وبرديات نادرة تأكد ماسبيرو من وجود الخبيئة وفي أخبار إنَّه مع الاتفاق مع الخديوي أمر بالقبض على عائلة عبد الرسول وتعذيبهم لحد ما اعترفوا بمكان الخبيئة. الفيلم قال حكاية مخالفة، وقال أن واحد من العائلة رفض أن تكون حياته مرتبطة بالموتى، وهو اللي اِعترف على المكان. أيًّا كان الطريقه المهم أن ماسبيرو وصل لمكان الخبيئة، وكانت أكبر اكتشاف في الفترة دي في الدير البحري أكثر من ٢٠ مومياء لملوك وغيرهم منهم أحمس الأول ورمسيس الثاني.

-وبالنسبة لموضوع العين؟ إنت قلت أن النص بيقول العين اليسرى والكتاب بيقول اليمنى؟ ده خطأ مطبعي يعني؟

-موضوع العين ده اللي فعلًا غريب جدًا. . . فبالرغم من أن شادي عبد السلام في الفيلم قال إن في عين ذهب تمَّ سرقتها من الخبيئة وابتدى الفيلم بصورة لتمثال ناقص عين إلَّا

أنَّه لا يوجد أي سجل رسمي لوجود عين في محتويات خبيئة أمون عدد كبير من المومياوات والتماثيل ولكن لا عيون؟

-بس النص اللي معانا إنت كاتب بيقول: -العين في خبيئة أمون ستبقى في الجسد محفوظة حتَّى الكمال؟- تفتكر ماسبيرو لقى العين؟
-مش عارف بس النص اللي معانا فيه كل علامات ماسبيرو يعني اللي كاتب النص عليم باللغة، اللغة المصريَّة القديمة وقدر إنَّه يدخل معلومات جديدة على النص بدون التأثير على النص الفعلي وأي حد عادي حتَّى من الخبراء ممكن لا يلاحظ الاختلافات البسيطة الموجودة في نص كتاب الموتى، بالإضافة طبعًا إلى موضوع خبيئة أمون وموضوع العين. أيًّا كان اللي باعت لينا النص ده هو متأكد إن ماسبيرو لقى فعلًا عين في خبيئة أمون زي ما شادي عبد السلام اقترح وإنَّه خباها وعايزنا نوصل للعين.
-وإنت عارف العين دي ممكن تكون فين؟ سأل سيد.
-مكان واحد وضع فيه ماسبيرو كل محتويات الخبيئة.
المتحف المصري . . .

***

أنا أريد لزوجتي الخلود.
أنا أريدها جملية للأبد أريدها خالدة. . .
-ولكن مولاي حتَّى نصل للخلود يجب أن نموت أولًا ونخرج في رحلة الحياة الآخرة حتَّى نضمن الخلود بعد الموت.
-لا أنا لا أريد لجميلتي أن تشيخ لا أريد لها الموت أنا أريد لها

الخلود في هذه الحياة والجمال الدائم أريد أن أراها كل يوم كما أراها اليوم جميلة الجميلات أريدها جميلة جميلات مصر للأبد، أريد أن يتحدث العالم عن جمالها وحتَّى تنتهي الأرض ومن عليها.

-سيدي أنت ملك مصر. . . وأنا لا أعلم تعويذة أو دواء من علوم أهل مصر يضمن الخلود والجمال الدائم.

-تحتمس. . . أنت أعظم كميائي وعالم في مصر وأنا أريدك أن تبحث لي عن وصفة الخلود أريدك أن تصنع لي أكسيراً للحياة والجمال الدائم وأن تعطي الأكسير لزوجتي الجميلة. أنت معك كل إمكانيات مصر ولك أن تختار معك في هذه المهمة. ولكن تذكر أن مهمتك في غاية السرية وغير مسموح أن يعرف بها غيرك حتَّى من يساعدونك.

-سيدي الملك سأبذل قصارى جهدي حتَّى أصل إلى ما تريد وقد أحتاج إلى ورشة قريبة من القصر حتَّى يتسنى لي العمل بجواركم وأخبارك بالتطورات.

- اِختار أي مكان في أخيتاتون ليكون ورشة عملك وسأبني لك أكبر ورشة عمل في مصر، ولكن لتعلم أن هذه الورشة مخصصة لنفرتيتي فقط.

إنَّها ورشة الجميلة. . .

***

ألمانيا ١٩١٣

الجميلة وصلت لمنزل جايمس سايمون بألمانيا – لا يمكن أن ترفع عينك من عليها أنَّها رائعة الجمال أنَّها جميلة بطريقة لا توصف كيف يمكن لتمثال نصفي لا يزيد طوله عن ٣٠ سم أن يحمل كل هذا الجمال.

وقف جايمس سايمون مع لودفيج ينظرون إلى جمال التمثال في صمت واحترام لهيبة الملكة.

التمثال لوجه الملكة نفرتيتي وهو بالألوان ويظهر جمال الملكة الأخاذ لون البشرة الخمري وطول الرقبة وتناسق الشفايف والوجنتين الأنف والأذن وعلى الرغم من عدم وجود العين اليسرى في وجه نفرتيتي ألَّا أن التمثال آية في الجمال والتناسق. أنَّها بالحق جميلة الجميلات.

-لقد أديت ما وعدت به سيد لودفيج وتنتظرك مكافئة سخية على عملك في مصر.

-سيدي لقد عملت كثيراً في مصر وفي الآثار وأنا واثق أن هذه أعظم قطعة أثريَّة تمَّ اكتشافها حتَّى الآن أنَّها لا تقدر بثمن ولا يمكن وصف جمالها – كعالم في المصريات سيدي يجب أن أقول أن وجه الملكة به سحر ظننت أنَّها قد تكون لعنة الفراعنة قد أصابتني عندما اكتشفنا التمثال. فكل من ينظر في وجهها يقع

في حبها من النظرة الأولى أنَّها روعة وعظمة المصريين القدماء في تمثال واحد. لا أدري كيف يمكن وصفة ولا يمكن كم أنت محظوظ سيدي أن تتمكن من النظر لهذا الوجه كل يوم.

-شكرًا لك سيد لودفيج وأنا ممتن جدًا لمساعدتك لي وأرجو أن تستمر أبحاثك في تل العمارنة فأنا أريد العين المفقودة – أنا أبحث عن الكمال دائمًا سيد لودفيج.

-بالطبع سيدي الفريق يعمل الآن بالفعل ونحاول أن نجد العين المفقودة – ولكن هل لي أن أسال سيدي عن ماذا تنوي فعله بالتمثال؟

-سيبقى التمثال مخفيًّا عن الناس في مجموعتي الخاصة ولا أريد أن يعرف أحد أنِّي قد وجدت الجميلة.

***

في غرفتها:

جلست عهد وحيدة تنظر من النافذة الوحيدة الموجودة في الغرفة إلى الفراغ من أمامها، تشعر بخوف كبير فهي لا تفهم شيء ومرت فترة طويلة لا يتكلم معها أحد مجرد خادمة المنزل تأتي لها بطعام ثمَّ تنصرف بدون أي كلمة. فكرت في الصراخ ولكن لا فائدة فهي وحدها ولا يوجد أحد ليسمع صوتها. ماذا يريدون مني؟ أو بالأصح ماذا يريدون من حسين؟ وكيف يشعر سيد الآن على الرغم مِمَّا هي فيه فهي تفكر في زوجها الحبيب لا بد أنَّه

سيموت من القلق عليها الآن كيف يمكن أن أخبره أنِّي بخير وأن كل شيء سيصبح على ما يرام. كم أحبه وكم أريده بجواري الآن وفي كل وقت.
طرقات منتظمة على باب حجرتها.
انتظر الطارق لفترة ثمَّ استأذن في الدخول نفس اللهجة العربية الفصحي أنَّه نفس الشخص.
فتح الباب ودخل الشاب الإنجليزي وفي هذه المرة ليس وحده. أنَّه يدفع أمامه كرسي متحرك يجلس عليه رجل كبير في السن تظهر عليه علامات المرض والسن.
قام الشاب الصغير بدفع الكرسي المتحرك إلى منتصف الغرفة أمام الكرسي الذي تجلس عليه عهد بجوار النافذة ثمَّ اِستأذن عهد بالخروج، وترك معها الرجل وحيدًا ثمَّ خرج وأغلق الباب خلفه مرة أخرى.
ببطئ شديد وبصوت واهن تحدث العجوز وبلغة إنجليزية بلكنة بريطانية مميزة:
-أعتذر لك عن حضورك لبيتي بهذة الطريقة وأعتذر مرة أخرى أنِّي لا أتحدث اللغة العربية ولكنِّي أعلم جيدًا أنَّك تجيدين الإنجليزية.
-هل من الممكن أن تشرح لي لماذا أتواجد في إنجلترا ولماذا تمَّ اختطافي من مصر؟

-بالطبع. . . فهذا ما جئت لزيارتك من أجله.
كما ترين من حالتي فلمْ يتبق لي من الحياة الكثير. وقد قررت أن أعتزل البشر منذ فترة طويلة وأنا أستمتع بوحدتي وأبحث عن أرث عائلتي المفقود، وأود لو تساعديني في ذلك.
-وكيف أساعدك وأنا سجينتك؟
-أنت الآن تقدمي لي أكبر مساعدة ممكنة، فبينما نتحدث الآن فإن زوجك العزيز وصديقه حسين المصري يبحثون لي عمَّا أريد من أجل اِستعادتك. واضح أن زوجك يحبك كثيرًا ويهتم لأمرك.
-هل تبحث عن أحد الكنوز القديمة؟
-لا. . . أنا لست في حاجه لكنوز قديمة، أو لأموال فكما ترين أنا في الحقيقة أمتلك من الأموال ما لا يمكنني إنفاقه. أنا أريد أكثر من ذلك سيدتي أنا أبحث عن الخلود. . .
-إذن أنت تبحث عن المستحيل فلا يوجد ما يسمى بالخلود!
-بل هو موجود وله العديد من الأشكال المختلفة فمن الممكن أن أخلد أعمالي أو اِسمي بسهولة ولكن ما أبحث عنه هو خلود من نوع آخر. . .
-ولماذا تحتاج إلى حسين المصري ليجد لك الخلود إذًا؟ فيمكن أن تشتريه بأموالك ففي النهاية ما فائدة المال أن لم تحقق حلمك به حتَّى ولو كان مستحيلًا.
-قد تندهشين أن المال يقف عاجزًا عن شراء الكثير من الاشياء

التي نشتيهيا. فالمال لا يشتري الحب، لا يشتري الوفاء، لا يشتري المشاعر ولا يشتري الخلود بالطبع. أنا وصلت لطريق مسدود في بحثي عن الخلود، واحتاج إلى حسين المصري ليساعدني في حل الغاز ما توصلت اليه. ولكن لنقل أنَّه حتَّى يساعدني قد يحتاج إلى حافز إضافي فهو لا يهتم للمال كثيرًا. ولا يوجد حافز أكثر من عهد مصطفي الشاعر صديقته وزوجه صديقه.

-ماذا وإن كان ما تبحث عنه غير موجود أصلًا ليتم العثور عليه؟

-إذا خلال خمس أَيام تعودين إلى بيتك وننسي ما حدث وتصحبك أخلص اِعتذاراتي.

يالا وقاحتي فقد نسيت أن أُعَرِف نفسي يجب أن تعذريني فإنَّ فقدان الذاكرة يأتي مع العمر المتقدم بدون اختيار.

أنا جايمس سايمون. . . ليفي هنري جايمس سايمون.

***

١١٠ ساعة :

إنت عايزنا نسرق المتحف المصري؟ سأل سيد.

عادي إحنا دخلنا اللوفر قبل كده المتحف المصري أكيد أسهل – أجاب يوسف.

إحنا مش هانسرق حاجة -إحنا أصلًا مش عرفيين لو كان ماسبيرو فعلًا وجد العين ولو كان وجدها خباها فين؟ خبيئة أمون طلع منها أكثر من ٢٠ مومياء بعضهم لملوك كبار وتمَّ فحصهم بالفعل

والباقي معروض في المتحف- محدش هايسرق ٢٠ تابوت من المتحف المصري ويخرج بيهم! إحنا محتاجيين نروح المتحف نفحص المومياوات.
-يعني إنت عايز ندخل نقول ليهم صباح الخير عايزين نفحص ٢٠ مومياء لو سمحتم؟ تعجب يوسف!
حسين ينظر إلى عداد الوقت أمامه. . . للأسف مفيش حل تاني إحنا هنستنى للصبح ونروح المتحف بدري لازم نلاقي طريقة لفحص المومياوات وبسرعة. يوسف ممكن تحضر لي معلومات عن الشخص المسئول عن قسم المومياوات في المتحف المصري حاليًا قبل ما نروح لازم نعرف كل حاجة عن الشخص ده قبل ما نقابله لأن في الحقيقة الحجه اللي هانستخدمها هاتعتمد أساسيًّا على الشخص اللي ممكن يسمح لينا بفحص المومياوات.
-طبعًا ثواني يكون عندك كل المعلومات المطلوبة.
-سيد! إنت محتاج تنام شوية إحنا ممكن يكون قدامنا وقت طويل وأكيد إنت محتاج ترتاح.
-تفتكر يا حسين أنا ممكن أغمض عيني وعهد مش معايا؟ أنا ممكن أضحي بعمري علشانها. نظر إلى صورتها في يديه وإلى بوكيه الورد الأبيض الذي أحضره لها وبدأت الدموع تتساقط على وجهه الأسمر. أمسك حسين بيديه وضغط عليها. . . عهد ستعود سالمة إن شاء الله. . . أوعدك.

- دي حاجة الواحد ما بيشوفهاش كثير. تحدث يوسف بتعجب وهو ينظر إلى شاشة الكبيوتر الخاص به.
توجه سيد وحسين نحو يوسف، في إيه؟
-مديرة قسم المومياوات في المتحف المصري سيده مش راجل!
-وإيه المشكلة في كده؟
-أصلها حلوة. . . جدًا. أجاب يوسف مازحًا محاولًا تخفيف الجو العام. . . الدكتورة مها سالم.
دكتوراه وماجستير من السوربون في فرنسا في علم المصريات.
كانت مسئولة عن الجزء الفرعوني في متحف اللوفر وقامت بجدولة المحتويات وعمل فهرس تاريخي لها. كم أبحاث غير طبيعي في البرديات المصريَّة القديمة وتعريف المومياوات عن طريق الحمض النووي ونسب وتسلسل ملوك الأسر المصريَّة.
الغريب أن كل ده وهي صغيره في السن! والأغرب أنَّها فعلًا جميلة.
نظر حسين وسيد إلى الشاشة –هي من نريد أن نقابلها غدًا- هي من نريد أن نقنعها لإنقاذ عهد.
-هنقول إيه ليها؟ سأل سيد.
-مش عارف لسه إحنا نروح الصبح ونشوف دي مش هايكون من السهل إقناعها.
جلس حسين ينظر إلى الصورة المرفقة مع المظروف الأبيض وإلى

كلمات كتاب الموتى منتظرًا الصباح بينما جلس سيد وحيدًا ينظر من النافذة باتجاه حديقة ورود عهد الصغيرة.
في الصباح الباكر تحرك الفريق نحو المتحف المصري ومباشرة إلى مكتب مديرة قسم المومياوات في المتحف.
دخل حسين أولًا ومن خلفة سيد ويوسف. . . هي فعلًا جميلة وجمالها مصري أصيل فهي خمريَّة اللون وشعرها طويل بني يميل إلى السواد تلفه بربطة صغيرة كذيل فرسة عربية أصيلة تتناثر بعض الشعرات على جبهتها العريضة ومنها إلى عيناها الواسعتان حتَّى ومن خلف نظارات القراءة الخاصة بها تستطيع أن ترى جمال عيناها السود. حاول حسين أن يركز في المهمة الموكل بها وتجاهل جمالها الأخاذ.
-صباح الخير، أنا الدكتور حسين ال. . .
-أنا عرفه أنت مين كويس يا دكتور، أنا معجبه بيك جدًا. . .
لحظة صمت. . . قصدي معجبة بأعمالك. . . بأعمالكم. . . أنت وفريقك طبعًا أنتم مشاهير جدًا بعد اكتشافكم لأكبر كنز فرعوني في العصر الحديث أنا سعيدة جدا أن حضرتك في مكتبي. أقدر أساعدك في إيه؟
بهدوء مصطنع حاول حسين الكلام بصورة قد تظهر اِحترافيه وتخلو من الكذب.
-هو أنا بعمل أبحاث عن بعض المومياوات القديمة الموجودة في

المتحف. وعايز أعمل مسح إلكتروني لعدد منهم. يعني لتحديد في كسور أو أي أمراض يمكن الكشف عنها من المسح للمومياء.
نظرت الدكتوره مها إلى حسين ثمَّ إلى سيد ويوسف من خلفه. . .
ثمَّ صمتت قليلًا وتحدثت:
-دكتور حسين. إنت لا تعتقد أنِّي ساذجة لتصديق ما أخبرتني به الآن. لما لا نعيد السؤال مرة أخرى وحاول هذه المرة أن تكون إجابتك أكثر إقناعًا. دكتور حسين كيف يمكنني أن أساعدك؟

***

ألمانيا ١٩١٤

هنري جايمس سايمون هو صوت اليهود في القصر الملكي.
هذا ما أطلقه الألمان على هنري جايمس سايمون فقد كان صديقًا مقربًا للقيصر الألماني فيلهلم الثاني قيصر ألمانيا (   ).
لم يعترض هنري جايمس على التسمية وإن كان يعلم يقينًا أنَّها غير حقيقية. فهو لمْ يكنْ صديقًا مقربًا للقيصر وإن كان دائم الزيارات للقصر وعضو دائم على موائد عشاء القيصر.
فالحقيقة أن القيصر يكره اليهود وبشدة. ولا يخفي ذلك وهنري جايمس مقرب من القيصر فقط؛ لأنه من أغنى أغنياء ألمانيا ولا يتوانى في دعم كل ما يطلبة القيصر منه ففي النهاية القيصر فيلهلم الثاني مغرم بالفنون والآثار القديمة والعلوم الحديثة،

وهي هوايات تتطلب الكثير من الدعم وهو الشيء الوحيد الذي لا يتوقف هنري جايمس عن تقديمة للقيصر.
أعتقد هنري جايمس أنَّه بقربه من القيصر قد يستطيع أن يغير من وجهه نظرة تجاه مجتمع اليهود في ألمانيا وحاول كثيراً أن يشرح وجهات نظر اليهود في الحياة والكثير من الأمور للقيصر بدون أي نتيجة إيجابية ولم يساعده مجتمع اليهود في ألمانيا والذي تحكم بصورة كبيرة في الأعلام والصحافة بشكل كبير ويعتقد القيصر أنَّهم يدعمون المعارضة بشكل كبير ويسعون إلى إزاحته عن حكم ألمانيا.
حاول هنري جايمس أن يقنع القيصر بدمج اليهود في المجتمع الألماني ونبذ العنصرية وأنَّه من الممكن أن يتجاهل الأصول الدينية والعرقية للمجتمع الألماني وأن هذا قد يكون سبيل لتطور الوحيد لألمانيا متحدة وأن مشاركة اليهود في الاقتصاد الألماني كبيرة جدًا
Wilhelm II
ويمكن أن تتضاعف أن أصبحت ألمانيا جاذبة لليهود.
-تريد ألمانيا جاذبة لليهود؟؟ ضحك القيصر سيد هنري جايمس لا بد أن أعترف أنَّك تختلف عن الكثير من اليهود الذين أعرفهم ولكن لتعلم الآتي:
-اليهود أكثر شيء مثير للاشمئزاز في التاريخ، والألمان تمَّ تضليلهم من قبل اليهود. . . لا يمكن لأي ألماني أن ينسى هذا، ولا يهدأ حتَّى تدمر هذه الطفيليات التي دمرت الدولة الألمانية! مذابح عالمية

منتظمة في العالم كله على غرار الروس هذا هو أفضل علاج، أن اليهود مصدر إزعاج يجب على البشرية التخلص منه بطريقة أو بأخرى. أعتقد أن أفضل شيء سيكون الغاز!-.
خرج هنري جايمس من القصر وقرر أن يسير في الطرقات. . .
كيف يعيش هو وأولاده في هذه الدولة؟ هذه هي الدولة التي يصرف عليها من أمواله؟

***

تحتمس:
طلب تحتمس من إخناتون أن تقضي الملكة نفرتيتي وقتًا في ورشته يوميًّا حتَّى يستطيع أن يعمل على طلب الملك. طلب منها دماء وخصلات من شعرها. ووافق الملك فتحتمس في النهاية من أمهر أطباء أخيتاتون وصديقة المقرب.
الحقيقة فأن تحتمس لا يدري ماذا يفعل فإن موضوع الخلود ليس ما درسة في الطب والكيمياء ولا يؤمن أنَّه يمكن أن يجد الخلود في يومًا من الأيَّام ولكنَّها رغبة الملك ولا يستطيع أن يرفض. وكيف يرفض وقد وفر له الملك فرصة لكي يرى جميلة الجميلات يوميًّا. حاول تحتمس أن يذكر نفسة أنَّها ملكة مصر وزوجة لإخناتون فرعون مصر.
ولكنه يحبها. . .
عندما تقترب من نفرتيتي فليس فقط جمالها ما يأسر قلبك.

إنَّها روحها الجميلة فنفرتيتي هي كل ما يحلم به الرجل في المرأة فصوتها ناعم لا ترفعه أبدًا وتشعر أنَّك تستمع إلى مقطوعة موسيقية عذبة، وهي تتحدث معك وإن كانت تتحدث عن أمور الدولة. نظراتها وحيائها واحمرار وجنتيها عندما يخبرها الناس أنَّها أجمل جميلات مصر والعالم وهو ما يزيد وجهه جمالًا. جسدها الطويل الممشوق وشعرها الأسود الطويل المخفي تحت تاجها الأزرق المميز والذي تخلعة بين الحين والأخر ليبرز من تحته الحرير الأسود.

ولكنها ملكة مصر. . . تذكر تحتمس وهو يجلس أمام نفرتيتي. أكبر ورشة ومعمل في مصر، هذه ورشة تحتمس وهي بجوار قصر الملك. أحجار كريمة ونباتات مختلفة من كل أنحاء المملكة المصرية. ألوان وأشكال وروائح مختلفة تشعر أنَّك دخلت إلى حديقة تتشابك فيها روائح الزهور فلا تستطيع أن تحدد أي عطر منهم تستنشقه.

هي لا تدري ماذا تفعل هنا غير إن إخناتون طلب منها الذهاب لورشة تحتمس يوميًّا ليصنع لها تمثالًا لمْ ترَ مصر مثله من قبل، تمثال يخلدها للأبد. . . لمْ تفهمْ ما هي علاقة خصلات شعرها أو سحب دماء منها وتجميعها في أناء صغير بعمل تمثال ولكنَّها تعلم أن إخناتون يحبها وهي تطيعه بدون نقاش.

طلب تحتمس أن يصنع قالبًا لوجهها من الطمي اللين ووعدها

أنَّه لن يؤثر على جمال وجهها. وافقت واقترب منها رائحتها زكية. . . اقترب منها مع الطمي اللين ووضع يديه على وجهها ملمسها ناعم، شعر بحرارة شديده تسري في جسده. . . صنع القالب وشكرها لسماحها له بالاقتراب منها.

-ملكة مصر. . . لقد صنعت لك بعض أدوات الزينة.

نظرت نفرتيتي إلى الصندوق اللي قدمه لها تحتمس وما به من مستحضرات وألوان وهي لا تدري ما تصنع به!

-سيدتي هذه مستحضرات للحفاظ على جمال وجهك. لقد صنعهتا خصيصًا لك ولا يوجد مثلها في مصر. وأعدك ألَّا أصنعها لأحد غير ففي النهاية جمالك فقط هو ما يستحق الحفاظ عليها.

قالها تحتمس وهو يقترب من نفرتيتي ليشرح لها كيف اخترع أول مستحضرات تجميل في التاريخ لمحبوبته السريَّة وقف يبين لها ما يستخدم للشعر وما يستخدم للوجه وما يستخدم للجسد. . . . كم أحبها!

شكرته بحمرة وجهها الخجول وانصرفت إلى القصر على وعد أن تحضر غدًا في نفس الوقت للانتهاء من التمثال.

غدا. . . سأنتظر الغد بدون حياة فالحياة تعود فقط عندما تدخل الجميلة.

أنا كان هناك على سطح الأرض من يستحق الخلود فهي نفرتيتي.

***

١٠٣ ساعة :

مفيش وقت.

قام سيد من مكانه بسرعة وأخرج الصورة المرفقة في المظروف الأبيض ووضعها أمام الدكتورة مها سالم:

-إحنا لازم نفحص المومياوات؛ لأن اللي خطف زوجتي وبيهدد بقتلها عايز اللي في الورقه دي؟ ومفيش وقت للف ودوران أنا زوجتي في خطر. . .

أصاب تحرك سيد السريع الجميع بالذهول ولم ينطق حسين ويوسف بأي كلمة. بينما نظرت دكتورة مها إلى الورقة بتعجب وصمت ونظرت إلى حسين والذي أكد لها بعينية أن ما قاله سيد صحيح.

أخرجت مها ورقة صغيرة من مكتبها وبدأت في الكتابة فهي خبيرة مصريات. . . ده جزء من كتاب الموتى. . .

اقترب منها حسين هذا ما اعتقدته في البداية ولكن اِنظري وأشار حسين إلى مكان العين. لاحظت مها أنَّها العين اليسرى؟ تحركت من مكتبها إلى مكتبتها الموجودة في طرف الغرفة وأخرجت منها نسخة من كتاب الموتى بالإنجليزية ونسخة تحتوي النص الفرعوني الأصلي ممثلًا بمجموعة من الصور للبرديات القديمة وألواح من معابد مختلفة. وجلست تقارن النصوص الأصلية بالنص المكتوب

بخط اليد.
-من كتب هذا خبير بالهيروغلوفية بشكل يدعو للإعجاب. فاستخدام الرموز بنفس صورة كتاب الموتى بحيث يستحيل على من يقرأ أن يلاحظ الفرق بين النص الأصلي والنص المعدل.
-أعتقد أنَّه السيد جاستون ماسبيرو. . . تحدث حسين.
-نظرت مها بإعجاب إلى النص مرة أخرى، بالطبع خبيئة أمون. لا يستطيع حسين إخفاء إعجابه بذكائها في تحليل الأمور وفهم النصوص الفرعونية بسرعة وربط الأمور. . . وبجمالها أيضًا. . .
-العين اليسرى أو عين خبيئة أمون مفيش أي سجل بيها غير فيلم شادي عبد السلام المومياء وكان المعتقد أنَّها خيال، جزء درامي إضافة شادي عبد السلام للفيلم بغرض الحبكة الدرامية إنَّما في الحقيقه مفيش عين تمَّ العثور عليها في خبيئة أمون.
نظر يوسف إلى سيد، واضح أنَّهم بيتفرجوا على نفس الأفلام اللي أنا وأنت منعرفش عنها حاجة.
-اللي مكتوب في النص وده لو كان نص ماسبيرو حقًا إنَّه وجد العين وقرر أنَّه يخبيها بعيدًا عن الناس لسبب ما.
-تفتكر ليه ممكن ماسبيرو قرر يخفي العين؟ سألت مها.
-الحقيقة مش عارف بس هو أكيد شاف فيها حاجة مميزة جدًا. وماسبيرو معروف إنَّه كان من أكبر المدافعيين عن الآثار المصرية وكان بيتم محاربته من أكبر تجار الآثار من كل دول العالم ومن

مصر. فممكن خاف أن تَتِم سرقتها من المتحف المصري فقرر يخفيها عن الجميع.
-قرأت مها باقي النص: -العين في خبيئة أمون ستبقى في الجسد محفوظة حتَّى الكمال- أي جسد يقصد؟ خبيئة أمون خرج منها أكثر من عشرون مومياء ومنها مومياوات لأكبر ملوك مصر. ومعظم هذه المومياوات تمَّ فحصها بدقة شديدة.
حسين مفكرًا فكلامها منطقي... فبالتأكيد قد تمَّ فحص مومياوات خبيئة أمون أكثر من مرة بالفعل وإن كان هناك عين مخفية في واحد من التوابيت فمن المؤكد أنَّه قد تمَّ اكتشافها بالفعل.
-حضرتك متأكدة إنَّه تمَّ فحص كل التوابيت؟
دكتوره مها تفكر قليلًا... لا... مش كلهم.
حسين يشعر بسعادة فهناك أمل الآن.
-بعد وصول التوابيت المستخرجة من خبيئة أمون تمَّ تقسيمها وتصنيفها وتعريفها بواسطة السيد ماسبيرو وفريقه في عملية أخذت من الوقت الكثير. وطبعًا وجود مومياء رمسيس الثاني وأحمس الأول ومجموعة من التوابيت الذهبية كان التركيز الأول والأهم. ولكن كان هناك في الخبيئة بعض التوابيت الخشبية الرخيصة والتي اِفترض الجميع أنَّها تحوي مومياوات لبعض من عوام الشعب وليسوا من أصول ملكية. فتم فحصها ووضعها في مخازن بعد عمل كتابات توضيحية أنَّهم ليسوا من الملوك نظرًا

لطريقة التحنيط وشكل التابوت الخارجي. بل وتمَّ إضافة أنَّها توابيت لمْ تكن أصلًا من محتويات خبيئة أمون ولكنها توابيت وجدت عن طريق عائلة عبد الرسول في الجبل وقاموا بنقلها إلى المغارة بغرض إخفائها عن حراس الجبل.
-والتوابيت دي موجودة في المتحف؟ سأل حسين.
-طبعًا في المخزن إنت عارف المتحف متكدس تمامًا بالآثار ومفيش مكان لعرضها وهما عددهم كبير والمفروض أن يتم عرضهم مع افتتاح المتحف الجديد حتَّى ولو كانت مومياوات لأشخاص من غير أصول ملكية فهم جزء من التاريخ.
-هل ممكن نفحص المومياوات دي؟
-إنت عارف كويس دكتور حسين أن فحص أي قطعة من الآثار لازم عليه موافقات وتصريحات وحضرتك لازم تقدم طلب تفصيلي يتم دراسته من لجنة متخصصة لضمان أن طريقة فحصك لن تؤثر بالسلب على القطعة المحفوظة والموضوع ده مش قراري لوحدي دي لجنة رئيسها وزير الثقافة في مصر.
سيد تحرك مرة أخرى وأخذ هاتف حسين وأظهره للدكتوره مها.
١٠٠ ساعة:
هو ده الوقت المتبقي قبل ما زوجتي تموت. . . مفيش وقت للجان واجتماعات . . .
نظرت مها إلى الهاتف وإلى أصابع الديناميت المتصلة بالساعة

الرقمية والثواني تتناقص أمام عينيها. موافقة بس بشرط:
-موافقين أجاب سيد – أي حاجة إنت عايزاها.
-أنا اللي هافحص المومياوات كلها ود حسين بس اللي ممكن يكون معايا صعب إنِّي أدخلكم كلكم بدون صفة أو أوراق ومش ممكن ندمر أي جزء من التوابيت أو محتوياتها.
-طبعًا أجاب حسين إحنا هانعمل مسح إلكتروني للكشف عن المعادن حاجة كده زي جهاز فحص الحقائب في المطارات.
-الجهاز معاكم؟ سألت مها.
-أنا عملت نسخة مبسطة من الجهاز وموصله على الاب توب بتاعي ومعانا في العربية وكنت مستني موافقتك لإحضارها – تحدث يوسف.
-حضرتك ممكن تروح تجيب الجهاز وأنا هارتب دخول مخزن المومياوات. . .
تحرك سيد ويوسف لإحضار الجهاز من سيارة سيد بينما جلس حسين أمام مها في مكتبها.
-تفتكر هنلاقي حاجة؟ سألت مها.
-عهد أختي قبل ما تكون زوجة صديقي وأنا هاعمل أي حاجة ممكنه علشان ترجع.
نظرت الدكتورة مها إلى الورقة الموجودة على مكتبها. . . هل تكون الإجابة في توابيت خشبية قديمة في مخازن المتحف المصري

من الثمانينات؟

***

ألمانيا ١٩١٨

نهاية الحرب العالمية الأولى:
الوقت بدأ ينفذ. . . كانت هذه هي تعليمات القيصر فيلهليم الثاني لقادة جيشة يجب إنهاء الحرب وبسرعة.
الجنرال إريش لودندورف والمرشد بول بول فون هيندنبورغ كان لهما سيطرة تامة على الجيش، بسلاح جديد وتكتيكات جديدة، يأملون في كسب الحرب العالمية الأولى على الجبهة الغربية قبل ظهور الملايين من الجنود الأمريكيين في المعركة.   وكان لديهما إمداد كبير من التعزيزات التي تحركت من الجبهة الشرقية، وقاموا بتدريب قوات خاصة أطلقوا عليها قوات العاصفة بتكتيكات جديدة للدخول في الخنادق ومهاجمة مراكز الاتصالات للعدو وتدميرها. وكان التقرير للقيصر أن التكتيكات العبقريَّة للألمان ستنهي الحرب العالمية الأولي قريبًا.
بهدوء جلب الألمان أفضل جنودهم من الجبهة الشرقية، وقرر لوديندورف مهاجمة البريطانيين بدلًا من الفرنسيين. فقد ظن أن البريطانيين لن يتمكنوا من الرد سريعًا على تكتيكات الحرب الجديدة. في البداية كانت الاعتداءات الألمانية على البريطانيين

شرسة - البريطانيون فقدوا ٢٧٠ ألف رجل في فترة قصيرة، وتراجعوا إلى الخلف ٤٠ ميلًا. ولكن سرعان ما تعلموا كيفية التعامل مع التكتيكات الألمانية الجديدة: التراجع، والتخلي عن الخنادق، والسماح للمهاجمين بالتقدم والانتشار، ثمَّ الهجوم المضاد وألحقوا خسائر كبيرة في الجيش الألماني. أطلق لوديندورف خمسة هجمات كبيرة بين مارس ويوليو، مِمَّا تسبب في وقوع مليون قتيل بريطاني وفرنسي. لقد انفتحت الجبهة الغربية الآن.

عانى الألمان العديد من الإصابات التي لحقت بهم، بما في ذلك معظم رجال القوات الخاصة. كانت البدائل الألمانية الجديدة شبابًا دون السن القانونية أو رجال أسرة متوسطي العمر في حالة سيئة. والذين لم يريدوا القتال أو الاشتراك في الحرب، لقد كرهوا ذلك، وبدأ البعض يتحدث عن ثورة بين صفوف الجيش الألماني.

على النقيض كانت بريطانيا تشعر بالتفائل فأمريكا قررت الانضمام للحرب وتقوم بحشد الملايين من الجنود الذين سيصلون قريبًا إلى الجبهة الغربية. وفي حين ظن القيصر أن الأمر سيستغرق أشهرًا بالنسبة للأمريكيين لشحن جميع رجالهم وإمداداتهم - لكن القوات الأمريكية وصلت قبل ذلك بكثير. بحلول سبتمبر ١٩١٨ استنفدت القوى الألمانية المركزية في القتال، وكانت القوات الأمريكية تتدفق على فرنسا بمعدل ١٠٠٠٠ جندي في اليوم.

وبدأ الهجوم المضاد الحازم للحلفاء والمعروف باسم هجوم الأيام

المائة. في ٨ أغسطس ١٩١٨ - وهو ما أطلق عليه لودندورف: -اليوم الأسود للجيش الألماني-. تقدمت جيوش الحلفاء بثبات مع تعثر الدفاعات الألمانية، ألمانيا خسرت الحرب. ليس فقط خسارة الحرب ولكن الجوع والاستياء الشعبي من الحرب مقومات عجلت ثورة في جميع أنحاء ألمانيا. بحلول ١١ نوفمبر ١٩١٨ استسلمت ألمانيا فعليًا، وتنازل القيصر وجميع العائلات المالكة، وتم استبدال الإمبراطورية بجمهورية.

في خضم الحرب وبوادر ثورة الجياع انقطع هنري جايمس عن زيارة القصر وعن الحديث مع القيصر وقام بإخفاء أبرز مقتنياته تمثال الملكة نفرتيتي في مخباء محصن في بيته لا يمكن الوصول اليه.

أنا ألماني يهودي!

لا يمكن أن يوجد أسوء من ذلك. . . فأوروبا كلها تكره الألمان. . وألمانيا تكره اليهود!

أين أذهب الآن؟ وكيف أخرج التمثال من ألمانيا فهم لا يستحقونه؟

***

٩٩ ساعة :

في جرد لمحتويات المخزن - مفيش حد يدخل المخزن لحد ما أخلص الجرد مفهوم.

-تحت أمر حضرتك يا دكتورة – قام العامل سريعًا بفتح المخزن

وتوجهت الدكتورة مها والدكتور حسين ومعهم الماسح الإلكتروني إلى مكان الموميات.
على الرغم من أن مصر بها أكثر من ثلث آثار العالم إلَّا أن المتحف المصري عبارة عن مخزن كبير، مجموعة كبيرة من الآثار مكدسة ولا يسعها المكان والأكثر منها ما هو مخزن في المخازن لعدم وجود أماكن لعرضها. في آخر المخزن وصل حسين ومها إلى مجموعة من التوابيت الخشبية والتي تمَّ تخزينها في غرفة مخصصة تمهيدًا لعرضها في المتحف الجديد. التوابيت على عكس توابيت الملوك المميزة مجرد صندوق خشبي لا توجد صورة منحوتة للميت أو أي زخرفة من أي نوع مِمَّا يميز توابيت الملوك والشخصيات الهامة في مصر القديمة. وهو ما يبرر وجودها في المخزن وعدم اهتمام أحد بفحصها تفصيليًّا.
-تفتكر إن ماسبيرو ممكن يخبي كنز مهم في تابوت خشبي لشخصية مجهولة من التاريخ المصري؟ نظرت مها إلى حسين وسألته.
-أولًا إحنا مش متأكدين إنَّه كنز ثمين، ثانيًا ده ممكن يكون أكثر الأماكن أمنًا لإخفاء أي شيء لأنه زي ما قلتي هي شخصيات مجهولة لا قيمة لها فمن سيهتم بفحصها؟
توجهت مها لملف موجود في طرف غرفة التوابيت وبدأت في تصفح الملف، ٨ توابيت هم فقط الموجودين من توابيت خبيئة

أمون الموجودين هنا وكلهم موجودين في نفس المكان من فترة طويلة وبالفعل تمَّ فحص المحتويات سريعًا ولا يوجد شيء مميز. . . على الأقل ده اللي مكتوب في التقرير.

تحرك حسين ومها نحو التابوت الأول - برفق قاموا بإزاحة الغطاء الخشبي للتابوت. . . مومياء فرعونية مغطاة بالكامل تأكل جزء من الأقمشة التي تغطي الرأس لتكشف عن جمجمة لشخص ما. حاول حسين تجاهل الجثة التي أمامه وقام حسين بتشغيل الماسح الإلكتروني وتحريكه من رأس المومياء مرورًا بالجسد من جميع الجهات وصولًا إلى القدم بينما جلست الدكتوره مها على الاب توب تراقب نتيجة البحث. . . لا شيء.

حرك حسين الجهاز مرة أخرى حول الجسد. . . لا شيء مجرد عظام بعضها متكسر تحت غطاء التحنيط. غطى حسين التابوت مع مها وانتقل للتابوت الثاني. . . لا شيء.

الثالث. . . لا شيء.

الرابع. . . لا شيء

الخامس قد يكون أسوئهم حالة. . . فحتَّى الغطاء الخشبي للتابوت متهالك بصورة كبيرة. بحرص شديد رفع حسين ومها غطاء التابوت وبدأ حسين في عملية المسح. . . لا شيء معدني.

بدأت مشاعر الإحباط تتوغل إلى قلب حسين قد يكون الدليل خاطئ أو مجرد وهم.

-استنى ثواني. . . صاحت مها وحسين يقف بالجهاز عند منطقة الصدر للمومياء رفعت الكمبيوتر باتجاه حسين. بص هنا!!!

نظر حسين لمنطقة القفص الصدري للمومياء. . . يوجد شيء غريب فعلى الرغم أنَّه متأكد أنَّه لا توجد معدن أو ذهب وإلَّا فقد ظهرت في الجهاز ولكن يبدو أن جزء كبير من الجانب الأيسر للقفص الصدري للمومياء متصل تماما (قطعة واحدة).

-لا توجد ضلوع؟

-قام حسين بتمرير الجهاز على الجانب الأيمن. . . الضلوع موجوده بصورة طبيعية، أعاد الجهاز على الجانب الأيسر كتلة واحدة من العظم؟ قام بتمرير الجهاز على باقي الجسد. . . لا شيء باقي الجسد بصورته الطبيعية.

-أنا شايف إن دي حاجه غريبة. تفتكري ممكن تكون حالة مرضية أن تكون الضلوع متصلة؟ سأل حسين.

-أنا عمري ما سمعت عن حاجة زي كده ولو هو أتولد كده مش فاهمة إزاي ممكن يعيش لحد ما يوصل السن ده؟

-لا ده مش طبيعي أكيد ودي الحاجة الغريبة الوحيدة اللي قابلناها حتَّى الآن. . . أنا شايف إن إحنا نفحص الكتلة العظمية دي عن قرب؟

-قصدك نفك التحنيط ونطلع الأضلع؟ سألت مها.

-دي ممكن متكنش أضلع الميت؟ ولو اللي أنا بفكر فيه صح

فمش هنكون إحنا أول حد فك التحنيط عن المومياء دي.
مها مترددة جدا الآن.
-للأسف مفيش بديل وأنا ممكن أرفع الأقمشة بحذر وأفحص الأضلع دي.
-لا. . . انا اللي هافحص المومياء. . . أجابت مها بحزم!
برفق شديد اقتربت مها من أقمشة الكتان والتي غلفت المومياء. . . الأقمشة مرتخية بعد تحلل الجثة من مئات السنين تمكنت ببطء من إدخال يديها بين القماش ونحو منطقة صدر المومياء. برفق حركت يديها نحو الجانب الأيسر من القفص الصدري. . .
ده مش ملمس عضم. . . تحدثت مها إلى حسين. . . ده أكيد مش عضم ده خشب الجانب الأيسر للقفص الصدري خشبي. . . لوحة خشبية واحدة. . . مررت أصابعها على الخشب أكثر فأكثر.
-حسين. . . في نقوش فرعونية أنا حاسة بيها على الخشب ده أكيد مش القفص الصدري للمومياء دي لوحة فرعونية خشبية.
تنفس حسين ببطء. . . إحنا لازم نخرجها. . . بدون انتظار لرد من مها حرك حسين يدية على شرائط القماش بسهولة تحركت. لقد قام أحد من قبله بقص القماش ووضعة مرة أخرى. قبل أن تتحدث مها قام حسين بإزالة كل الأشرطة التي تغطي منطقة صدر المومياء حتَّى وصل ليد مها والتي كانت لا تزال تلمس

الجانب الأيسر للقفص الصدري للمومياء.
لوحة خشبية مستطيلة الشكل طولها حوالي ٢٥سم وعرضها حوالي ١٥ سم أمسكت مها اللوحة بإحكام وقامت بإخراجها. . .
إنَّها العين. . .

***

أشعر أنَّها النهاية.
على فراش المرض رقد إخناتون يتحدث إلى صديقه وطبيبه تحتمس.
-مولاي سيكون كل شيء علي ما يرام أنَّها وعكة بسيطة وستكون بخير.
-لا فأنا أشعر أن وقتي قد حان. أعتقد أن كل إنسان يشعر حينما يقترب من الموت، أنا لا أخاف الموت فأنا مستعد للآخرة ومقابلة إلهي وأنا شاكر لأتون فقد حققت في حياتي ما حلمت به طوال عمري. . . لقد وحدت الإلهه وبنيت عاصمة جديدة لمصر أزدهر في عصري العلم والفن الحديث والأهم من كل هذا لقد تزوجت جميلة الجميلات.
هذا ما يحزنني فقط في الموت فراق نفرتيتي – هل تعلم أنَّي قد أكون نادمًا على طلبي منك أن تجعل نفرتيتي خالدة فسوف أفتقد وجودها بجواري في الحياة الآخرة. لم أسالك يومًا كيف تمكنت من فعل هذا؟ كيف يمكن أن تبقى جميلة كما رأيتها أول

مرة كل يوم؟ لا يهم المهم أن جميلتي ستبقى جميلة للأبد. عليك أن تعدني تحتمس لا أحد يستحق الخلود غير نفرتيتي لا أحد يستحق الحياة غير زوجتي سر الخلود خلق لها فقط ولتخليد جمالها.

-بالطبع سيدي أعدك فلا يستحق الخلود أحدًا غيرها!

-أريد أن تكون زوجتي بجواري الآن.

خرج تحتمس من غرفة الملك وفي انتظاره وقفت نفرتيتي مع أولادها بناتها الستة والصغير توت عنخ أتون والذي تبنته بعد خروج والدته من أخيتاتون.

-الملك يريد أن يراك سيدتي.

دخلت نفرتيتي سريعًا لتكون بجوار زوجها في لحظاته الأخيرة. . . كما هي جميلة لا يدري لما ولكنه كلما يراها أتية إليه كأنَّه يراها أول مرة بعد فترة زواج طويلة لا يزال يشعر أنَّه مراهق يحب للمرة الأولى في حياته. هي حب حياته وهو الآن سيتركها.

حبيبتي. . . أنا سعيد بحياتي بسببك. . . لقد كنت بجواري طوال الوقت وحان الوقت لي أن أعود إلى خالقي. . . ابني توت صغير في السن ولن يتسطيع حكم مصر وحده. . . عليك أن تكوني له عونًا وسندًا كما كنت لي عونًا وسندًا. . . لا تتركي أخيتاتون زوجتي فهي بيتنا بنيناها سويًّا.

-السلام عليك أيُّها الإله الأعظم إله الحق. لقد جئتك يا إلهي

خاضعًا لأشهد جلالك، جئتك يا إلهي متحليًّا بالحق، متخليًّا عن الباطل، فلم أظلم أحدًا ولم أسلك سبيل الضالين، لم أحنث في يمين ولم تضلني ولم تمتد يدي لمال غيري، لمْ أكن كاذبًا ولم أكن لك عصيًا.
إنِّي يا إلهي لم أوجع ولم أبكِ أحدًا، وما قتلت وماغدرت، بل وما كنت محرضًا على قتل، ولم أدنس شيئًا مقدسًا، ولم أغتصب مالًا حرامًا ولم أنتهك حرمة الأموات، أنا طاهر، أنا طاهر، أنا طاهر.
وما دمت بريئًا من الأثم، فاجعلني يا إلهي من الفائزين- .
قالها وأغلق موحد الإلهه عينيه للأبد. . .

***

٩٥ ساعة :
نظر حسين إلى القطعة الخشبية في يد مها. . . شكل عين منحوت في منتصف القطعة ومن شكل الرسم تظهر أنَّها فعلًا عينًا يسرى وليست عين حورس اليمنى المشهورة وحولها نقوشات فرعونية مميزة.
-محتاجين نفسر النصوص وبسرعة – تفتكري هو ده اللي خطفوا عهد عايزينه؟
-إنت قصدك إن إحنا نخرج العين من المتحف؟ سألت مها.
-لو هو ده اللي هايرجع عهد أه.
-بس دي آثار مصر.
-دكتوره مها حياة أختي وزوجه أعز أصدقائي في خطر وأوعدك أنِّي

أرجعها وأنت خبيرة في الآثار أنا وأنت معًا ممكن نلاقي حل. . .
مفيش حد في العالم يعرف العين شكلها إيه. يعني إحنا ممكن نديهم أي حاجة لو اكتشفنا أن العين قيمة.
-نطلع مكتبي نحاول نفسر المكتوب ونفحص القطعة أولًا وبعدين نقرر.
بحرص وضع حسين غطاء التابوت الخشبي بعد إن كان قد قام بإرجاع أشرطة الكفن للمومياء وصعدا إلى مكتب مها حيث كان سيد ويوسف في الانتظار. أشار حسين إلى سيد أنَّهم تقريبًا قد وجدوا ما يبحثون عنه.
الآن وفي إضاءة واضحة يستطيع الجميع رؤية القطعة الخشبية بوضوح. العين في منتصف القطعة الخشبية من الزجاج وفي الداخل بؤبؤ العين اليسرى من الكوارتز المطلي باللون الأسود والمثبت بنوع من الشمع على الخشب. وحول العين تقع مجموعة من الرموز الفرعونية.
في نفس الوقت أمسك حسين ومها ورقة من على المكتب وينظرون حولهم لإيجاد قلم. تلاقت أعينهم للحظات. . . ثمَّ فتحت مها أحد أدراج مكتبها وأخرجت قلم لحسين.
-لا حضرتك ممكن تقومي بالترجمة أنت الخبيرة في اللغة. . . آسف. أعتذر حسين!
-ممكن نترجمها سوا. . . جلس حسين بجوار مها وأمامهم القطعة

الخشبية وبدأ في تفسير النقوش الفرعونية الموجودة على القطعة الخشبية.

أنِّي أنا العنقاء.
حافظة سر الكائنات إليَّ توجد والتي سوف تكون.
أنا الأبدية والامنتهى، أنا عابرة ملايين السنين.
الجميلة قد أتت، وعندما اكتمل جمالها.
نظرت إلى أتون، وأنشدت تعويذة الخلود.

الجميلة قد أتت؟؟؟
قالها حسين ومها في نفس الوقت. . .

***

ألمانيا ١٩٢٠

فريدريش إيبرت -أول رئيس منتخب لألمانيا- بعد تنحي القيصر فيهيلم الثاني. من الشخصيات المثيرة للجدل تاريخيًّا وكما هو متوقع فمنصب الرئيس الأول لدولة مهزومة في الحرب لن يكون سهلًا بأي حال. الرئيس إيبرت يدعو هنري جايمس سايمن لمقابلة في مكتبة الرئاسي.
منذ تنحي القيصر وهنري جايمس معتزل الحياة السياسية

فالوضع في ألمانيا يغلي بصراعات داخلية بين الأحزاب ومحاولة لتحديد هويَّة جديدة لدولة جديدة، صراعات بين اليمين واليسار والشيوعية والاشتراكية والتدخل الخارجي. . . صراعات لم يجد هنري جايمس سببًا؛ لأن يكون مشاركًا فيها أو أن يتخذ فيها جانبًا فيكفيه أنَّه يهودي ألماني فلا يريد إضفاء أي صبغة سياسية على حياته المعقدة بالفعل. والآن رئيس ألمانيا المنتخب يطلبه في مكتبه. ماذا يريد؟ لا أدري ولكن لا أستطيع الرفض.

تركة منتظرًا في خارج المكتب أكثر من ساعة. أحس بالضيق ففي النهاية هو من حدد موعد للزيارة وأنا من كنت جليس للقيصر نفسة ولم أجلس منتظرًا على بابه في يومًا من الأيام. يجب أن أكون صبورًا فألمانيا تتغير الآن. . . .

حان وقت الدخول. دخل هنري جايمس على الرئيس إيبرت في مكتبه. أشار إليه الدخول والجلوس معه على واحدة من الأرائك وبعد مصافحة جافة بدأ إيبرت بالحديث:

-سيد هنري جايمس أهلًا بك في ألمانيا الجديدة. طبعًا نحن نعلم جيدًا من أنت فأنت من أثرياء ألمانيا وبالطبع نعلم علاقتك الجيدة بالقيصر السابق.

-سيدي الرئيس علاقتي بالقيصر كانت. . .

مقاطعًا تحدث إيبرت. . . أنا غير مهتم بعلاقتك بالقيصر سيد هنري.

-فلننسي الماضي هذا ما أقوله دائمًا فلقد كنت داعمًا للحرب في يومًا من الأيام. . . نحن الآن بصدد بناء ألمانيا جديدة ألمانيا أكثر تحضرًا ورقيًّا يمكن أن يتم تقبلها داخليًّا من الشعب الألماني أولا قبل أن يتم تقبلها من أعدائها في أوروبا.
-بالطبع سيادة الرئيس وأنا من داعمين الدولة الجديدة ومستعد للتبرع للدولة في أي مجال تحتاجون إليه.
-ليس هذا فقط سيد هنري. . .
-وماذا يمكن أن أقدم غير تبرعاتي للدولة سيدي الرئيس؟
-كما شرحت لك سيد هنري فنحن بصدد بناء ألمانيا أكثر تحضرًا والفن والآثار تعتبر مقياسًا لتقدم وحضارة الشعوب. ولا يخفي على أحد في ألمانيا أنَّك من أشهر مجمعي الفن في ألمانيا وربما في العالم. . . فقد يفيد ألمانيا بتبرعك ببعض الأعمال الفنية والأثرية والتي بحوزتك لمتحف برلين.
فوجئ هنري جايمس بطلب الرئيس بالتبرع ببعض الأعمال الفنية من مجموعته إلى المتحف ولكن كيف له أن يرفض طلب الرئيس فمن الأفضل أن يقوم بالتبرع على أن يتم أخذ المجموعة عنوة من منزلة.
-بالطبع سيدي فيمكنني اِختيار بعض الأعمال الفنية والآثار والتي قمت بتجميعها على مدار السنين والتبرع بها للمتحف لتكون متاحة لعامة الناس في ألمانيا فأنا مع نشر الثقافة والفنون.

-كل المجموعة سيد هنري. . . كل المجموعة.

***

الوضع غير مستقر في مصر:
الشعب بتحريض من كهنة أمون يرفض فكرة الإله الواحد.
الكهنة يريدون عودة طيبة عاصمة لمصر بدلًا من أخيتاتون.
الكهنة يريدون أمون الإله الأعظم وليس أتون.
تحدث تحتمس إلى الملكة نفرتيتي أيام بعد وفاة إخناتون.
-سيدتي لن تستطِيعي أو يستطيع الملك الصغير توت مقاومة الكهنة والشعب والجيش
-هل تقترح أن نترك عاصمة زوجي؟ هل تقترح أن نترك دين زوجي؟
-نعم مولاتي. . . أنت تعلمي إخلاصي الشديد لك ولإخناتون ولكني أعلم ما يدور في شوارع مصر وفي طيبة خصيصًا وأنا أخشى عليكم مكركهنة أمون.
فكرت نفرتيتي في كلام تحتمس فبعد وفاة إخناتون لا يوجد من تثق به وقررت أن تنصاع لكلام إخناتون، أتت بابنها بالتبني الصغير توت عنخ أتون الصبي ذو العشر سنوات.
-توت من اليوم أنت ملك مصر وستغير اِسمك من توت عنخ أتون إلى توت عنخ أمون (الصورة الحية للإله أمون)، من اليوم ستتزوج أختك التي تحبها عنخ أسن أتون، والتي ستغير اسمها

أيضا إلى عنخ أسن أمون. من اليوم نقدم القرابين لأمون ونهجر معبد أتون. من اليوم ننتقل إلى طيبة.
استمع الطفل الصغير إلى كلام أمه بالتبني والتي أصبحت حماته في نفس الوقت بعد زواجه من أخته بدون نقاش أو جدال وانتقلت العائلة إلى طيبة وعاد الاستقرار وعبادة إلهة متعددة ورضي عنهم كهنة أمون.
-أريد أن أختفي. . . تحدثت نفرتيتي للمرة الأخيرة في ورشة تحتمس قبل أن تنتقل إلى طيبة. لن تقبل طيبة ملكة تحكم مصر يريدون رجلًا دائمًا ولن يقبلوا بي وهم يعرفون ولائي لإخناتون وللإله الواحد. خلعت نفرتيتي تاجها المميز. . . وهذه المرة لمْ يستطعْ تحتمس الكلام من هول الصدمة مِمَّا رآه. لقد حلقت الملكة شعرها بالكامل. . . طوال الأعوام الماضية كنت تطالب بخصلات من شعري أو بقطرات من دمي، ولم أفهم لماذا؟ وها أنا الآن أعطيك كل شعري. . . فلا حاجة لي به الآن.
نظر تحتمس إلى وجه مليكته وهو بدون شعر تمامًا وهي تحمل في يديها صندوق من العاج وضعت فيه شعرها الأسود
الطويل. . . حتَّى بدون شعرها لا تزال جميلة الجميلات. حتَّى بدون شعرها لا يزال واقع في حبها. لا يستطيع أن يفاتحها بحبه أبدًا والآن الملكة تريد أن تختفي. كيف تختفي؟ كيف تختفي جميلة الجميلات؟ لقد وعدت إخناتون أن أخلدها وأن تبقى

جميلة للأبد ويجب أن أوفي بوعدي ستبقي الجميلة. . . جميلة للأبد. . . ولا أستطيع أن أجعلها تغيب عن ناظري فهي الحياة كلها بكل جمالها فهي السبب في استيقاظي صباحًا أعد دقائق اليوم قبل أن تصل إلى ورشتي لتجلس أمامي أنحت لها التماثيل.
هي تعتقد أنِّي أصنع لها تمثال واحد ولا تدري أنِّي صنعت لها مئات التماثيل وأن ورشتي من الداخل لا يوجد فيها غير نفرتيتي.
كل يوم أَدعي حاجتي لعمل قالب جديد لوجهها حتَّى أتمكن من الاقتراب منها وشم رائحتها وإغماض عيني بجوار وجهها وأتمنى أن تكون لي يومًا من الأيام أو على الأقل أن أكون بجوارها دائمًا.
-مولاتي لقد وعدت إخناتون أن أخدمك طالما حييت ولا أستطيع أن أحنث وعدي مع الملك الراحل فأرجوك أن تقبلي بي عبدًا مطيعًا لك أتابعك أينما ذهبت.
-لطالما كنت وفيًّا لي ولزوجي الراحل بعد رحيل زوجي أريد أن أعرف الآن لماذا طلبت مني خصلات من شعري وحتى قمت بسحب دم من جسدي؟ لقد طلب مني زوجي أن أنفذ ما تطلب والآن أريد أن أفهم.
الخلود سيدتي. . . لقد طلب مني الملك أن تكوني من الخالدين.

***

٩٢ ساعة :

بعد وقت جلس فيه حسين ومها ينظرون إلى اللوحة الخشبية وإلى مجموعة من الكتب في مكتبة مها.

تحدث سيد:

-إنتم فاهمين ده إيه صح؟ هو ده اللي عايزينه اللي خطفوا عهد؟

نظر حسين إلى مها ثمَّ إلى سيد:

-لا مش هو ده اللي هما عايزينه. للآسف!

-يعني إيه؟ عايزين إيه؟

-عايزين اللي بيوصل ليه الكلام ده.

-ممكن تشرحوا لينا إيه معنى الكلام ده؟ تحدث يوسف.

أنِّي أنا العنقاء.
حافظة سر الكائنات إليَّ توجد والتي سوف تكون.
أنا الأبدية والامنتهى، أنا عابرة ملايين السنين.
الجميلة قد أتت، وعندما اكتمل جمالها.
نظرت إلى أتون، وأنشدت تعويذة الخلود.

بدأت مها في الكلام. . .

-الجزء الأول من النفش الفرعوني هو جزء آخر من كتاب الموتى يتحدث عن العنقاء الكائن الخرافي.

-والعنقاء ده إيه بالظبط؟ سأل يوسف.
-طائر خرافي من الأساطير الفرعونية أو اليونانية أو حتَّى تمَّ الاعتقاد أنَّه مشترك بين الحضارتيين المفروض أنَّه طائر عايش في فينيقيا وأول ما يوصل ألف سنة من العمر يتوجه إلى مصر وإلى معبد الشمس خصيصًا وهناك بيتحرق ويعاد بعثه للحياة من الرماد بصورة جديدة ليكمل ألف سنة أخرى. كائن لا يموت وهذا ما جعل العنقاء أو الفينيكس مميز.
الجزء التالي في النص ممكن يكون لسه بيوصف العنقاء من حيث الخلود وإن كانت واحدة من الأساطير الفرعونية بتتحدث عن سيدة وفي بعض الأحيان يتم وصفها كإله وليست امراة والتي تعبر ملايين السنين. تحدث حسين.
-يا دكتور أنا فعلًا مش فاهم حاجة يعني إيه عابرة ملايين السنين؟ وإزاي إنسانة؟ سأل يوسف.
-زي ما قلت هي أسطورة بتحكي عن شخصية خالدة لا تموت هي شاهد على الأمم. . . في بعض الناس حتَّى حاولوا يفسروا الشخصية دي إنَّها شخصية العبد الصالح (الخضر) اللي قابل سيدنا موسى وقصته في القرآن وفي كتب أخرى بس طبعًا مفيش أي أدله على الكلام ده.
-بس هو الجزء الثاني من النص اللي مش من كتاب الموتى هو اللي ممكن يكون حلقة الوصل بين الأساطير دي كلها. أوضحت مها.

الجزء الثاني بيتكلم عن (الجميلة قد أتت):
-وهي الجميلة قد أتت دي شخصية؟ تعجب سيد!
في نفس الوقت أجاب حسين ومها الجملية قد أتت. . . دي الملكة نفرتيتي.
مها: المعنى الحرفي لاسم الملكة نفرتيتي هو الجميلة قد أتت وهو ما كان متعارف عليه في مصر القديمة وكان دائمًا ما يشار أن اسمها يعبر عنها فهي تعتبر رمزًا للأنوثة ليس فقط في مصر القديمة ولكن عبر العصور. نفرتيتي جميلة الجميلات.
-أنا ممكن أشرح ليكم أنا وحسين بنفكر في إيه. تحدثت مها.
في ديسمبر ١٩١٢ اكتشفت بعثه ألمانية بتقوم بعمل تنقيبات في تل العمارنة أشهر قطعة أثرية في تاريخ مصر الحديث (تمثال لرأس الملكة نفرتيتي) تمثال بالألوان ورغم أن حجمه صغير لا يزيد عن ٢٠ كيلو جرام إلَّا أنَّه أية في الجمال والروعة. في يناير ١٩١٣ تمت في مصر أكبر عملية نصب وسرقة في التاريخ. في منزل في الزمالك تمَّ عمل مقابلة مع مسئول الآثار المصري والمستكشف الألماني بورشارد رئيس البعثة ولأن كل التنقيبات بأمر مباشر من السيد ماسبيرو كانت لازم تتم بموافقة هيئة الآثار المصرية وأي قطعة تخرج من مصر لازم تخرج بموافقة الهيئة.
-يعني التمثال خرج بموافقة مصر؟ سأل يوسف.
فالحقيقة آه ولأ. . . اللي حصل أن ممثل هيئة الآثار تمَّ خداعة

ولم يرَ التمثال أصلًا. المستكشف الألماني قام بتجميع بعض الفخار المتكسر ووضع التمثال تحته وأقنع ممثل الآثار أنَّها قطع لا قيمه لها سيتم بعثها لألمانيا للترميم بدون ذكر التمثال. وتمَّ تهريب التمثال من مصر.

-طيب وليه ما طالبانش بيه بعد اكتشاف السرقة؟

التمثال ده كان سبب مشاكل سياسية كبيرة بين مصر وألمانيا يمكن لحد دلوقتي يعني باختصار: سنه ١٩٣٣ الملك فاروق طلب رسميًّا من ألمانيا إرجاع رأس نفرتيتي إلى مصر ورغم موافقة الجنرال هيرمان جورجيان وهو قائد كبير في الجيش الألماني كبادرة جيدة لتوثيق العلاقات مع مصر تدخل هتلر شخصيًّا وتمَّ رفض طلب الملك فاروق.

سنه ١٩٨٩ حدثت مطالبات رسمية من مصر لرأس نفرتيتي من مصر مع تهديدات بمقاطعات سياسية وتدخل من جهات عليا في الموضوع وانتهى الأمر أن الرئيس المصري محمد حسني مبارك وافق على بقاء الرأس في ألمانيا وصرح: -أن رأس نفرتيتي هي أحسن سفير مصري في ألمانيا-.

من ٢٠٠٥ الدكتور زاهي حواس أخد الأمر لليونيسكو وطالب بمقاطعة دوليَّة لألمانيا وطلب بضغوط دولية عليها لإرجاع الرأس بدون نتيجة وبادعاء من ألمانيا أن الرأس خرجت من مصر بصورة رسميَّة وبدون خداع.

-كل ده علشان رأس تمثال؟ ده حتَّى مش ذهب؟ سأل يوسف.
ده مش أي تمثال يا يوسف. أجاب حسين. رأس نفرتيتي بصورة ما تحولت لرمز لألمانيا وأيقونة لجمال المرأة في العالم ككل. الموضوع ابتدى أن ألمانيا كانت عايزه يكون ليها اكتشاف عالمي يضاهي اكتشاف الإنجليز لمقبرة توت عنخ أمون وتحول الموضوع بالتدريج أن رأس نفرتيتي أصبحت رمز سياسي لألمانيا يعني مثلا سنة ١٩٣٠، وصفت الصحافة الألمانية تمثال نفرتيتي بأنَّه الحجر الأثمن من كنوز ألمانيا، وأن نفرتيتي ستعيد تأسيس الهويَّة الوطنية الألمانية. هتلر شخصيًّا وصف التمثال بأنه: -تحفة فريدة من نوعها، زخرفة، كنز حقيقي-، وتعهد ببناء متحف لإيواءه. بحلول السبعينيات، أصبح التمثال النصفي قضية هوية وطنية لكل من الولايات الألمانية -ألمانيا الشرقية وألمانيا الغربية- التي نشأت بعد الحرب العالمية الثانية. في عام ١٩٩٩، ظهر نفرتيتي على ملصق انتخابي للحزب السياسي الأخضر كوعود لبيئة عالمية متعددة الثقافات مع شعار -المرأة القوية لبرلين- – المهم أن رأس نفرتيتي الآن هي أثمن قطعة أثرية في ألمانيا ويستحيل إرجاعها لمصر.
-ده جميل إحنا اتسرقنا كالعادة. . . ممكن أعرف إيه علاقة ده بعهد وبينا؟ سأل سيد.
نظر حسين إلى مها وإلى القطعه الخشبية. . . وتحدثت مها:
اللي خطف عهد بيدور على . . . أكسير الحياة!

ألمانيا ١٩٢٠

وقف هنري سايمون جايمس مذهولًا أمام رئيس ألمانيا وهو يطلب منه أن يتبرع بمجموعته الفنية من أجل ألمانيا. على الرغم من أنَّه طلب إلَّا أنَّه بصيغة الأمر والإصرار أنَّها تكون المجموعة كلها ومن ضمنها تمثال رأس نفرتيتي وهي القطعة الوحيدة التي سماها الرئيس الألماني.

رجع هنري جايمس إلى بيته وقام بطلب لودفيج بورشارت إلى منزله على الفور. حضر لودفيج بسرعة وشاركة طلبات رئيس ألمانيا الجديد.

-وماذا ستفعل سيد هنري؟

-الرئيس لا يعطيني اختيارات فعلى الرغم من طريقة طلبه المهذبة فهو في النهاية يخيرني إمَّا أن أكون جزء من ألمانيا الحديثة وأتبرع بكامل مجموعتي الفنية أو أصبح عدوًا للدولة. وبالطبع فإن علاقتي السابقة بالقيصر لا تساعد في تمكيني بوضع جيد في ألمانيا.

-ولكن لا يمكن عرض تمثال نفرتيتي للعوام؟ أنت تعلم جيدًا كيف حصلنا على الرأس؟ سيتسبب العرض العام لمشاكل كبيرة لنا وأسئلة كيف حصلنا عليها.

-ولكنك أكدت لي أن الأوراق سليمة.
-سيدي هذا ما نقوله للجهات الرسمية فالأوراق فعلًا سليمة ولكن الحقيقة التي تعرفها أنا وأنت فقط أنَّه لم يرَ أحد في مصر رأس نفرتيتي وأنَّنَا قمنا بتهريبها داخل مجموعة من الفخار القديم. ونحن لا نريد أي مشاكل من أي نوع مع الإنجليز وخصيصًا بعد الحرب.
-وماذا تقترح سيد لودفيج؟
-كما قلت سيدي فالموضوع ليس اختياري ولكن على الأقل ممكن أن تطلب ألَّا تعرض رأس نفرتيتي على العامة الآن ستتبرع بها ولكن لا نقوم بعرضها في المتحف حاليًا.
-أنَّها أثمن قطعي الأثرية وأجد من الصعب جدًا التفريط بها لمن لا يستحقها.
-أوفاقك الرأي ولكن قد لا يكون لك أي سبيل إلَّا الهروب بها من ألمانيا. . .
-شكرًا لك سيد لودفيج على إحضار جميلة الجميلات لبيتي. وشكرًا لك لأعطائي الفرصة للاستمتاع بهذه القطعة النادرة من الفن المصري القديم.
انصرف لودفيج وترك هنري جايمس في بيته. توجه هنري إلى المكان الذي وضع فيه رأس نفرتيتي في غرفته الخاصة. وجلس ينظر إلى التمثال كأنَّه يودعه وبحسرة قام بالاتصال بمكتب رئيس

الجمهورية الألمانية. . .
أنا هنري جايمس سايمن قررت التبرع بكامل مجموعتي الفنية لمتحف برلين وللشعب الألماني.

***

٨٨ ساعة :
أكسير الحياة. . . يعني إيه؟ تسأل سيد ويوسف وهما ينظران بجديه الآن إلى مها وحسين.
-في بعض الأساطير القديمة بتقول أن المصريين القدماء اكتشفوا سر الخلود والشباب الدائم. وأن السر ده كان للملكة نفرتيتي واختفى بعدها.
-بس ده كلام فاضي. . . ضحك يوسف ده زي سر الخلود اللي اكتشفوه من كام سنة في مقبرة راجل صيني وكان أضحوكة العالم ما هو لو كان شغال مكنش الراجل مات.
-لا الوضع مختلف مهندس يوسف. . . أجابت الدكتورة مها.
-ليه مختلف؟ ما هي نفرتيتي ماتت يعني مفيش خلود ولا حاجة!
في الحقيقه إحنا علميًّا. . . مانعرفش نفرتيتي فين؟ أجابت مها وهي تنظر لحسين فهو الوحيد والذي قد يفهم ما تعنيه. تدخل حسين في الحوار.
-الحقيقه العلمية أن نفرتيتي بعد وفاه إخناتون. . . اختفت

تمامًا من التاريخ.
-هو في حد ممكن يختفي من التاريخ بسهولة كده؟ دي كانت ملكة مصر؟ سأل سيد.
-عندك حق طبعًا. . . أجابت مها بس هي دي الحقيقة رغم إن نفرتيتي من أشهر ملكات مصر وتمثالها من أكثر المواضيع المثيرة للجدل في التاريخ الحديث بس الحقيقة أن معلوماتنا عن الملكة الجميلة تقريبًا صفر. . . يعني على سبيل المثال نفرتيتي أصلها إيه؟ محدش يعرف يعني في نظريات بتقول إنَّها كانت ابنه ظابط أو سياسي كبير في طِيبة ونظريات ثانية بتقول إنَّها أصلًا من بلاد الشام وجائت لمصر. . . كلها نظريات ولا توجد أي حقائق عن أصول أو عائلة الملكة الجميلة. كل المعلومات الموجودة عن فترة وجودها مع إخناتون وعبادة الأله الواحد. وبعد وفاة أخناتون صفر آخر لا ندري ماذا حدث للملكة.
حسين: طبعًا ظهرت نظريات ثانية بعد موت إخناتون. . . مصر كانت في حالة من الهياج والفوضى بسبب توحيد الألهة وكهنة أمون كانوا غير راضيين عن حكم إخناتون وتهميشهم وكان الضغط على الملك الصغير توت والذي ورث الحكم عن أبيه إخناتون.
-إنت تقصد توت عنخ أمون الملك الشهير؟ سأل يوسف.
-هو الحقيقه ماكنش اسمه توت عنخ أمون. . . ده الاسم اللي غيرة اسمه الأصلي كان توت عنخ أتون فمعنى اسمه الصورة

الحية للإله أتون ولكن مع الغضب الشعبي وتخوف نفرتيتي عليه قررت تغير اسمه إلى توت عنخ أمون أو الصورة الحية للإله أمون وزوجته واحدة من بناتها.

-إيه يادكتور ده أنا مش فاهم حاجة؟ إزاي ابنها وتزوج أحد بناتها؟

- هو ده كان شائع في مصر القديمى -أجابت مها- للحفاظ على نقاء الدم والملك توت مش ابن نفرتيتي هو كان ابن الملكة كيا اللي هي كانت أخت إخناتون بس نفرتيتي هي اللي ربته مع بناتها الستة وقررت تجوزه واحدة من إخواته. وطبعًا ده مكنش من غير عواقب فعند اكتشاف مقبرة الملك توت كان في مومياوات بناته اللي ماتو صغار جدًا بسبب أمراض مرتبطه بزواج الأقارب.

-تابع حسين. . . النظريات بتقول إن نفرتيتي ولأنها زوجة إخناتون وشريكته في عبادة الأله الواحد بعد وفاة إخناتون قررت أنَّها تتخفى وتعيش كرجل.

-تعيش راجل إزاي؟ سأل يوسف.

-يعني المتعارف عليه إنَّها قامت بقص شعرها تمامًا وارتدت ملابس الرجال، وكانت من مستشار الملك توت ويقال أنَّها حكمت مصر تحت اسم مختلف مع الفرعون الصغير وحتَّى وفاته.

-وبعد وفاته؟ أكيد هي ماتت.

-زي ما الدكتورة مها قالت. . . علميًّا مانعرفش فحتَّى الآن تقريبًا

كل مومياوات الأسرة ال١٨ تمَّ الكشف عنا كل بنات إخناتون وأمه وأبوه وابنه وزوجته كيا. . . كلهم إلَّا نفرتيتي.
-يا دكتور قصدك إنَّها اِتدفنت في مكان تاني ومحدش لقيها صح؟
-أو لم يتم دفنها على الإطلاق. . . أجابت مها وهي تنظر إلى الكلمات على اللوح الخشبي أمامها.
الكلام اللي على اللوح الخشبي بيربط بين أسطورتين في التاريخ الفرعوني. . . أسطورة العنقاء وأسطورة عابرة ملايين السنين والاثنين لم يتم ربطهم بشخص من قبل – الآن النص بيربطهم بشخصية معروفة في التاريخ نفرتيتي ومش بس كده هي شخصية لم يتأكد أحد كيف ماتت؟ ولا أين ماتت؟ والسؤال الآن. . .
هل ماتت نفرتيتي؟

***

ليفي هنري جايمس سايمون:
أعرف أن الاسم قد لا يعني لك شيئًا ولكنه يعني لي كل شيء
تحدث ليفي هنري جايمس إلى عهد وهي تجلس بجوار النافذة، وهو على كرسية المتحرك أمامها. بصعوبة تخرج الكلمات من جسده الواهن بينما أخرج قطعة صغيرة من الورق تبدو في غاية القدم ومحفوظة في غطاء بلاستكيك محكم الغلق.
لم تستطع عهد أن تقرأ ما هو مكتوب عليها، ولكن من قربها منه تأكدت أنَّها بلغة غير الإنجليزية.

-هل لك أن تتخيلي أن ورقة في منتهى الصغر والحقارة مثل هذه الورقة التي في يدي أن تكون سبب لشقائنا وتعاستنا للأبد؟ كلمات يكتبها بعض الناس يحددون بها مصائر البشر... كلمات تحدد من يعيش ومن يموت... كلمات تحدد من أعلى ومن أدنى... من يحكم ومن حكم عليه بالعبودية والذل... كلمات تمثل كل الظلم الموجود في العالم.

-بالنسبة لمن اختطفني من بيتي ومن بلدي وتركني حبيسة في غرفة مغلقة... فأرجو أن تعذرني أن كان حديثك عن الظلم غير مقنع بالمرة بالنسبة لي سيدي.

-ممكن تفهميني وتلتمسي لي الأعذار لو حكيت ليك قصتي وقصة عائلتي وممكن تجدي فيها سبب مقنع لطلبي مساعدتكم ...

أنا والدي كان من أغنى أغنياء ألمانيا قبل الحرب العالمية الثانية بس كان في مشكلة صغيرة رغم أن جدي كان ألماني وكان مقرب من قيصر ألمانيا إلا أننا من عائلة يهودية.

-يهودي... نظرت عهد بعجب إلى الرجل العجوز الجالس أمامها هل قام يهود بخطفها من مصر؟ وماذا يريد اليهود من حسين المصري؟

-هل تكرهين اليهود سيدتي؟

-نظرت عهد إلى الرجل الجالس أمامها... وأجابت بحزم هل تعتقد أن مشاعري نحوك تختلف طبقًا لديانتك؟ فلو كنت مسلم

مثلًا كنت سأحبك رغم أنَّك اختطفتني من بلدي ومن زوجي ولا أدري ماذا تطلب في المقابل؟

-أطالب برد شرفي وشرف عائلتي. أطالب بما تمَّ أخذه منا في الماضي أطالب بتاريخ عائلتي وإرثها. زي ما قلت لقد كنا من أغنى أغنياء ألمانيا، والدي هنري جايمس سايمون كان بيحاول إدماج المجتمع اليهودي في ألمانيا ويقرب من وجهات النظر مع القيصر أمَّا بالسياسة أو بالتبرع بالأموال الكثيرة إلى كل ما يطلبة القيصر من دعم للتعليم أو الفنون. لقد تبرع بمجموعته الفنية كلها إلى متحف برلين بطلب رسمي من أول رئيس جمهورية في ألمانيا. كل مجموعته الفنية والتي منها بعض القطع والتي لا تقدر بثمن. وماذا كان المقابل؟ الطرد والقهر. . .

إنَّها قصة ظلم. . . وحان الوقت أن تنتهي. . .

***

٨٤ ساعة :

الجميلة قد أتت، وعندما اكتمل جمالها.

نظرت إلى أتون، وأنشدت تعويذة الخلود.

المشكلة مش في النصف الأول من النص. . . النصف الثاني مشكلته أكبر. . . تحدثت مها.

نظر حسين إلى القطعة الخشبية في يديه وإلى مها. . . مفيش غير حل واحد علشان نتأكد.

بسرعة أخذ حسين القطعة الخشبية، وأخرج هاتفه المحمول من جيبه وقام بتهشيم الزجاج الخارجي للعين.

-إنت بتعمل إيه؟ صاح سيد مش ممكن ده اللي عايزينه علشان يسيبوا عهد.

نظر حسين إلى سيد. لا مش ده اللي عايزينه وأشار حسين إلى قطعة الكوارتز السوداء داخل العين. . . والتي استطاع حسين أن يمسكها بحرص الآن بين يديه. . . ده اللي بيدوروا عليه؟

-ممكن تفهمنا يا دكتور إيه دي؟ سأل يوسف.

دي اللي بيكتمل بيها جمال الجميلة. . . دي الحلقة المفقودة في تمثال نفرتيتي. أجاب حسين.

أنا ممكن أشرح ليكم. . . توجهت مها لمكتبتها وأخرجت أحد الكتب وفتحته على صورة لتمثال نفرتيتي.

ببساطة كان في معضلة اسمها معضلة تمثال نفرتيتي. فالتمثال رمز الجمال ورمز الأنوثة عالميًّا حاليًّا وجد ناقص عين، والعين اليسرى بالتحديد. بعد اكتشاف التمثال وتهريبه من مصر تمَّ رصد مكافئات هائلة لمن يعثر على عين التمثال اليسرى، وكان كل الناس بتدور عليها بدون فائدة. وتقريبًا مفيش حجر في تل العمارنة ما اترفعش علشان عين نفرتيتي.

وابتدت تظهر نظريات هو ليه التمثال ناقص عين؟
بعض العلماء قالوا إن كان عندها التهاب في العين اليسرى.
وعلماء آخرين قالوا أن العين محفورة وده بينفي موضوع إنَّها كانت مريضة أن بؤبؤ العين اليسرى كان موجود والتمثال بيتعمل وتمَّ إزالته لاحقًا. وابتدت ناس ثانية تربط بين رأس نفرتيتي والحضارة الرومانية وأن العين تمَّ إزالتها بتعمد كما فعل الإغريق مع تمثال اِفروديت إله الجمال وأن نقصان الجسد هو أعلى صور الجمال. الدكتور زاهي حواس بيعتقد أنَّها كانت موجودة ولكن تمَّ تدميرها أو فقدت عندما تمَّ تدمير أخيتاتون بعد فتره أمنحوتب الرابع.
المهم أن في احتمال كبير أن الحجر اللي إحنا لقيناه في المتحف المصري هو العين اليسرى لتمثال نفرتيتي. هو اللي بيكمل جمالها.
سيد ينظر إلى الحجر في يد حسين، ويتسأل يعني هو ده اللي هما عايزينه؟
نظر حسين إلى مها وإلى سيد. . . ده خطوة واحدة من حل اللغز. . . هما ممكن يكونوا عايزين حاجة أكبر من الحجر ده.
عايزين إيه؟ سأل سيد.
عايزين رأس نفرتيتي - أجاب حسين.

***

ألمانيا ١٩٣٢

هنري سايمون يتلقى دعوة أخرى من مكتب الرئاسة هذه المرة من ثاني رئيس لألمانيا الرئيس باول فون هيندنبرغ.

-ماذا يريد مني هذه المرة؟ ففي المرة الأولى طلب الرئيس مني أن أتبرع بكامل مجموعتي الفنية لأكون مواطن صالح وأظهر نوايا طيبة للدولة وقد فعلت. ماذا يريدون الآن؟ لقد اعتزلت السياسة بعد الحرب ولا أريد أن يتم زجي في صراعاتهم على السلطة. ولكن هل يمكنني الرفض؟ هو يطلب مقابلتي فأمَّا أن أذهب بإرادتي أو يتم القبض عليَّ. فلا توجد خيارات في الحقيقة, قبل الميعاد المحدد وصل هنري سايمون إلى قصر الرئاسة ساعتين من الانتظار قبل وصول أحد الضباط إلى في قاعة الانتظار. الرئيس مستعد لمقابلتك الآن.

اعتدل هنري وقام بتسوية بدلته السوداء وسار خلف الضابط متوجهًا لمكتب الرئيس هيندينبرغ. في مكتبه لم يكن الرئيس وحده بل كان معه شخص آخر. لم يكن ليخطئة فهو يصعد بسرعة الصاروخ في السياسة الألمانية. إنَّه رئيس حزب العمال الألماني الاشتراكي الوطني (أدولف هتلر).

تقدم هنري جايمس لمصافحة الرئيس بأول فون والذي قام بمصافحته بنظرة قاضبة وبينما استدار لمصافحة هتلر. . . نظر

هتلر إلى يديه ثمَّ إلى وجهه وانصرف ناحية البار الصغير الموجود في ركن من مكتب الرئيس، وقام بسكب كوب من الشراب لنفسه.
لم يتحدث الرئيس وبينما سحب هنري جايمس يديه في حرج، أشار له الرئيس بالجلوس على مقعد أمام مكتبه.
تحدث هتلر مباشرة موجها حديثة إلى هنري جايمس.
-سيد هنري جايمس هل هناك عاملات ألمانيات يخدمن في بيتك؟
تعجب هنري جايمس من السؤال. هل تمَّ استدعائه لمكتب رئيس الجمهورية للسؤال عن الخدم في منزله؟. نعم سيدي لدي بعض العاملات الألمان في منزلي والعمال أيضًا منذ زمن.
-وهل تحسن معاملتهم سيد هنري جايمس؟
-على ما أعتقد. . . هل هناك شكوى من أيًّا من عمالي تجاه معاملتي لهم؟ أنا لا أفهم أجاب هنري جايمس وهو ينظر ناحية رئيس الجمهورية القابع خلف مكتبه لا يتحدث، والذي أشاح بوجهه موحيًا أنَّه لن يشارك في هذا النقاش بأي صورة من الصور,
-وكيف تشعر وهناك عاملة ألمانية تعمل في بيت يهودي مثلك؟
-وقف هنري جايمس محدقًا بهتلر. . . كيف تجرؤ على سؤالي مثل هذه الأسئلة أنا ألماني وقد أكون ألماني أكثر منك سيدي فأنا أعلم جيدًا أنَّك مولود في النمسا. ولن أقبل أن تزايد عليَّ وطنيتي أو أن تقحم معتقداتي الدينية في طموحاتك السياسية.
-بهدوء اقترب هتلر من هنري جايمس ونظر إلى عينيه وتحدث

ببطئ. . . لقد حان الوقت سيد هنري جايمس سايمون. . . لقد حان الوقت.

-حان الوقت لماذا؟ أنا لا أفهم؟

-حان الوقت أن تطهر ألمانيا من أمثالكم سيد هنري جايمس. حان الوقت أن يتخلص الجنس الأري من الأمراض وآفات المجتمع التي أُتيتم بها إلينا. كيف لألماني من جنس سامي أن يعمل لدى يهودي مثلك. لقد حان الوقت لخروجكم من ألمانيا.

مذهولًا من هول الصدمة والكلام القاسي نظر هنري جايمس إلى رئيس جمهوريته منتظرًا منه دفاعًا عن مواطنين ألمان في دولته. . . لا مجيب نظر بعيدًا مشيحًا بوجهه عنه وعن أدولف هتلر وكأنَّه لا يملك اختيار.

-أنا مواطن ألماني سيد هتلر وخدمت ألمانيا في كل المجالات الاقتصاد، الثقافة، الفن والعلوم، ولا يمكن أن يشكك أحد في وطنيتي أو انتمائي إلى ألمانيا.

-ولذلك أنت هنا سيد هنري جايمس –أجاب هتلر بحدةٍ- فالآن يتم إعلامك مبكرًا بسبب مجهوداتك لألمانيا لديك مهلة ستة أشهر لمغادرة ألمانيا أنت وعائلتك بسلام.

-أغادر ألمانيا؟ إلى أين؟ هذه بلدي.

-لا يهمني إلى أين. المهم إنَّه خلال عام من الآن لن تكون ألمانيا مكان مناسب لليهود. قال هتلر كلماته، وقام من مكانه وخرج

من الباب بدون أن يستاذن من رئيس الجمهورية أو من هنري جايمس. انتهى الحوار بدون أي مقدمات. . .
نظر هنري جايمس إلى الرئيس باول فون منتظرًا أي مساعدة.
-اعتذر سيد هنري جايمس ولكن حزبهم قوي جدًا وتقريبًا مسيطر على ألمانيا حاليًّا ولا أستطيع مقاومتهم. هتلر متحدث لبق وللآسف الشعب الألماني يستمع إلى خطبة وما هي إلا مسئلة وقت حتَّى يكون هتلر في مكاني.
-وماذا تقترح سيادة الرئيس؟
-أنت تستمع لهتلر وتخرج من ألمانيا فالوضع لن يكون جيدًا لكم في ألمانيا بعد الآن.
في حزن شديد خرج هنري جايمس من مكتب رئيس الجمهورية متوجها إلى منزلهِ لا يدري ماذا يفعل؟ دخل إلى غرفته وأخبر زوجته أنَّه في حاجة للراحة.
ذهب هنري جايمس في نوم عميق. . . لم يستقيظ منه أبدًا. . .
توفي هنري جايمس في اليوم الذي قابل فيه هتلر.

***

٨٠ ساعة :
محتاجين تمثال نفرتيتي – تعجبت مها أنتم فاهمين أنتم عايزين إيه؟
حضرتك منصب كبير في وزارة الآثار مش ممكن تطلبي أنَّك

تفحصي التمثال في ألمانيا؟ سأل سيد.
-ألمانيا يستحيل تخلي مصري أيًّا كان يقرب من التمثال – المشاكل السياسية الكبيرة اللي بين مصر وألمانيا مخلياهم حذرين جدًا مخليه في حساسية بين مصر وألمانيا من ناحية رأس نفرتيتي بالذات.
-يعني إيه مفيش حل؟ سأل سيد بتوتر – الوقت بيعدي.
في حل أكيد – أجاب حسين.
-قصدك نسرق التمثال طبعًا؟ تحدث يوسف وهو ينظر إلى حسين وسيد.
-مفيش حل ثاني. أجاب حسين.
-تسرقوا إيه؟ صاحت مها أنتم مجانين أكيد. . . ده أكبر متحف في ألمانيا ومصر بقالها سنين مش عارفه تستعيد التمثال إنتم بالبساطة دي هاتسرقوه؟
-أنا هاعمل أي حاجة علشان عهد ترجع – ومش أول مرة لينا دخول متحف كبير بطريقه غير قانونية – أجاب سيد.
-بس الوضع مختلف يا سيد المرة دي.
-أنا مش فاهمة إنتم بتقولوا إيه بس إنتم عارفين إن دي القطعة الرئيسية في المعرض؟ دي زي الموناليزا في اللوفر دي أهم قطعة في المتحف ممنوع التصوير فيها، أو الفيديو دي في القاعة الرئيسية يعني الحراسة عليها أعلى من أي قطعة ثانية في المتحف.

دكتورة مها إحنا متشكرين جدًا لمساعدتك لينا اليوم ومنقدرش نطلب منك أكثر من اللي عملتيه معانا إحنا لازم نتحرك دلوقي وهنلاقي طريقة أكيد- تحدث حسين بينما وقف وفي يديه القطعة الخشبية، وعين نفرتيتي مهما بالخروج من مكتب الدكتورة مها سالم.

-إنت رايح فين؟ إنت مش ممكن تخرج من المتحف بالقطعة دي؟ دي من آثار مصر وأنا مسئولة عن حمايتها إزاي تخرج بيها؟

-إحنا محتاجين العين علشان نكمل البحث بتاعنا.

-يبقي لازم أكون معاكم.

-تكوني معانا فين؟

-ألمانيا – أنا خبيرة في الآثار والتاريخ المصري القديم وغير دوري في حماية القطعة اللي إنتم هتأخدوها من المتحف أنا عندي خبرة كبيرة في اللغة المصرية القديمة بالخط الهيروغليفي وممكن أساعدكم للوصول لزوجة الأستاذ سيد.

-أنا معنديش مشكلة – أجاب سيد بالأنابة عن المجموعة المهم نتحرك بسرعة الوقت بيعدي. وأخرج هاتفه يتحدث إلى مدير أعماله طالبًا منه تجهيز الطائرة الخاصة لألمانيا

-استني يا سيد. . . صاح حسين إحنا محتاجين نفكر كويس هنعمل إيه قبل أي حاجة.

-المتحف هايقفل ولازم نمشي- نظرت مها إلى ساعتها.

-نتحرك على بيتي ونفكر هناك – أجاب سيد.
لم يتمالك سيد نفسه عندما وصل إلى بيته بدون عهد. . . البيت الكبير تحول إلى قبر مظلم لا حياة فيه بدون حبيبته. اِختفت الروح والحياة من بيته مع اختفاء ضحكة عهد. دخل الجميع إلى المنزل بدون أن يتحدث أحدًا منهم.
يوسف أنا محتاج كل المعلومات اللي ممكن تجيبها عن متحف برلين الجديد أي كان ثمن المعلومات دي. طلب حسين من يوسف والذي أخرج الاب توب الخاص به، وبدأ في تجميع المعلومات.
سيد إحنا محتاجين نسافر ألمانيا بس هل في طريقة أن إحنا ندخل ونخرج من غير ما يتم تسجيل أسامينا في المطار؟ سأل حسين.
-مش عارف الموضوع ممكن يكون صعب بس خليني أعمل محاولات. . . مفيش حاجة ملهاش ثمن.
-ممكن تفهمني أنتم هاتعملوا إيه؟ سألت مها.
هانسرق رأس نفرتيتي من ألمانيا. . . أجاب حسين بهدوء.

***

إنجلترا :
أنا مواليد ألمانيا سنه ١٩٢٦ – تحدث ليفي هنري جايمس مستندًا على مقعده المتحرك، وبعد أن وضع ماسك الأكسجين على وجهه لمده دقائق قبل الكلام.
أسوأ ما يمكن أن يكون ميلادك في المكان الخاطئ، والزمان الخاطئ

وهو ما حدث معي. عائلة يهودية. . . العجيب أنَّه في بداية حياتي كان أقراني يحسدونني على عائلتي ففي النهاية فقد ولدت في بيت أغنى أغنياء ألمانيا فوالدي أكبر مصدر ومنتج للأقمشة في ألمانيا واسم كبير في الأوساط الراقية في ألمانيا. وأنا ابنه الأصغر والمدلل. . . يضحك ببطئ الآن وتظهر عليه نظرات السخرية وياله من دلال.

-ولماذا تعتقد أنِّي قد أكون مهتمة بقصتك سيد ليفي؟ سألت عهد.

لقد سألت عن سبب وجودك هنا. . . وقصتي هي الإجابة عن سؤالك وفي النهاية ففي هذا القصر الكبير لا يوجد غيرنا الآن فقد نتشارك في أحاديث لكسر الملل وطول الوقت فأنا لا أحظى بمناقشات عميقة مع مثقفين من فترة طويلة.

قد لا يكون لديَّ بديل فأنا أسيرته ولا أستطيع الهروب. نظرت عهد إلى العجوز أمامها وإلى الورقة الصغيرة في يديها – تستطيع أن تميز بعض الكلمات الآن أنَّها باللغة الألمانية (قوانين نورمبرغ). سمعت بالقوانين فهي من عائلة مهتمة بالتاريخ.

استمر العجوز بالكلام تُوُفِيَ والدي وأنا في السابعة من عمري. . . لا أذكر الكثير غير أن الجميع كان في حزن شديد وأن والدي حضر للمنزل وضمني إليه ثمَّ ذهب إلى غرفته ولم يستيقظ من نومه. لم أفهم ماذا يعني أنَّه مات وكل ما أتذكره من الأعوام التالية

لوفاة والدي هو حديث أمي أن هتلر قد قتل والدي.
في الثامنة من عمري تولى هتلر منصب مستشار ألمانيا وبدأت أشعر بنظرات الخوف والقلق في العائلة والكل يريد الهروب من ألمانيا. بينما أصرت والدتي على البقاء في بيت والدي وأن ألمانيا هي بلدنا ولا يمكن أن نتركها.
سنة ١٩٣٥ صدرت الوثيقة التي تحمليها بين يديك الآن في العاشرة من عمري يتم إخباري في المدرسة أنِّي يهودي وهو ما جعلني مواطن درجة ثانية. لا يسمح لي بالجلوس أو بالحديث إلى زملائي الألمان- تخيلي أن يكون تدريس العنصرية إجباري في المدارس؟ لكي أن تتخيلي أنِّي في العاشرة من عمري كنت مطالب بإجابة أسئلة الزامية أن الجنس الأري هو الأسمى وأنَّه يجب التخلص من الزنوج واليهود والمعاقيين لأنهم عبء على المجتمع.
أرجع كل يوم من مدرستي أسأل أمي لماذا أنا يهودي؟ ولماذا أنا أقل من زملائي الألمان؟ لا أعلم من ألوم ولا أفهم لماذا يكرهني من حولي ويبتعدون عني ففي النهاية لم أختَر أن يكون والدي يهودي. تمَّ طرد اليهود من جميع الوظائف الحكومية وقف جنود مسلحين أمام محلات اليهود لمنع الناس من الدخول إليها.
أصبح الوضع صعب على أغلب اليهود أغلقت مصانع والدي رفض الألمان البيع والتعامل معنا إمَّا إيمانا منهم أننا أقل منزلة أو خوفًا من هتلر وجنوده.

سنة ١٩٣٨ عمري ١٣ عام فرض عليَّ تغيير اسمي إلى ليفي يسرائيل مثل كل اليهود في ألمانيا كل الرجال ليسرائيل والنساء إلى اسم سارا حتَّى يسهل تمييزنا بالإضافة إلى الشريط الأصفر اللذي طلب منا إرتادائه طوال الوقت. ولكن لمْ يكن كافي لهم.
بينما أجلس في المدرسة في الصف الخلفي كالعادة في يوم من الأيَّام دخل الجنود إلى الفصل وبدون حديث طلب مني ومن اثنين يهود آخرين وطالبة ألمانية ذات بشرة سوداء أن نقف واصطحبنا الجنود للخارج، سألنا إلى أين؟ لا مجيب. تمَّ وضعنا في سيارة شرطة وتحركت السيارة بسرعة. لم يكن المعتقل بل تمَّ اقتيادنا إلى أحد المستشفيات الصغيرة في برلين. لا نفهم ولا نستطيع أن نتكلم أو نعترض فكم رأيت بعيني أن من يجرؤ على الحديث فإن الإعدام رميًّا بالرصاص أسهل ما يمكن في ألمانيا.
أتذكر جيدًا الغرفة الواسعة والتي تمَّ اقتيادنا إليها. لا يوجد كراسي وطلب منا الجلوس على الأرض. لم نكن وحدنا أكثر من ١٠٠ طالب وطالبة كلهم أمَّا يهود أو ملونين. الغرفة مشددة الحراسة وقف على بابها عساكر مسلحون لا يتحدثون. دخل الطبيب وهو يغطي وجهه بكمامة طبيه لم نستطع التعرف عليه,
-طبقا للقانون الألماني سيتم إخصائكم جميعًا الآن. نريد تطهير العرق الألماني من أمثالكم. يحيا هتلر-.

***

٧٧ ساعة :
في منزل سيد وعهد جلس الجميع في غرفة المعيشة بينما جلس حسين مع يوسف على الاب توب الخاص به يتطلع لمعلومات عن متحف برلين الجديد.
نيو موزيوم أو -المتحف الجديد- (   ) يقع في جزيرة المتاحف في العاصمة الألمانية برلين . دُمِّر المتحف بالكامل في عام ١٩٣٩ عقب اندلاع الحرب العالمية الثانية، وتمَّ إعادة بنائه بالكامل طوال سبع سنوات بإشراف المهندس المعماري البريطاني ديفيد شبيرفيلد ليعاد افتتاحه في أكتوبر ٢٠٠٩. المتحف يحتوي على ثلاث طوابق الأول تضم معروضات من مصر القديمة ومن أشهرها التمثال النصفي للملكة الفرعونية نفرتيتي والذي خصص له الطابق الأول.
-المتحف على جزيرة ؟ تفتكر ممكن ندخل من تحت المية؟ سأل سيد.
-صعب جدًا يا سيد. إحنا عايزين القطعة الرئيسية في المتحف مش مخازن والحراسة والمراقبة على تمثال نفرتيتي عالية جدًا.
-إنتم أكيد مجانين. إنتم عايزين تسرقوا أهم قطعة أثرية في ألمانيا. ده مستحيل أكدت مها.
-أنا مستعد أعمل المستحيل علشان عهد ترجع. أجاب سيد.

-أنا عندي فكرة ممكن تنجح . . . صرح حسين.
يوسف محتاجك تعمل موقع تعليمي ألماني وهمي لا يمكن تعقبه طبعًا. . . الموقع ده هايوزع جوايز على ١٠ مدارس ألمانية للطلاب بمستويات عمريَّة مختلفة الجايزة هي تذكرة لدخول متحف برلين الجديد ومشاهدة رأس نفرتيتي الشهيرة. عايز على الأقل ٥٠٠ طالب وطالبة في المتحفNeues Museum
-إنت عايز زحمة في المتحف؟؟ سأل يوسف.
-بالضبط أنا عايز المكان مليان على أخره - أجاب حسين. بالإضافة إلى على الأقل ثلاث دور مسنين ومحاربيين قدامي الجائزة بالانتقالات عايز حاجة ما يقدروش يرفضوها عايز ناس على كراسي متحركة تكون في المتحف.
-ممكن تفهمنا إنت عايز تعمل إيه بالظبط أنا مش فاهمة حاجة؟ سألت مها.
رأس نفرتيتي القطعة الأساسية في المعرض يعني الحراسة عليها ضعف الحراسة على أي قطعة تاني في المعرض. على الرغم من إنَّه تمثال مصري بس هو حاليًا رمز ألماني. يعني مستحيل ندخل المتحف وهو فاضي ونخرج بالتمثال الحل الوحيد إن إحنا نسرق التمثال بالنهار والمكان مزدحم جدًا.
-حسين إنت بتقول إيه؟ إزاي هتخرج برأس نفرتيتي من المتحف بالنهار؟ سأل سيد.

أنا محتاج طلاب وناس كبار في السن وعواجيز في المتحف كلهم بيتفرجوا على تمثال نفرتيتي والقطع الثانية في المتحف المهم المكان يكون مزدحم جدًا. يوسف هايدخل بالاب توب بتاعه وكل اللي مطلوب منه يطلق إنذار الحريق في المتحف. تقدر تعمل كده؟ سأل حسين.

-بس أفعل إنذار الحريق؟ أنا ممكن أعمل ده من هنا مش من ألمانيا أجاب يوسف.

-إنت هتحرق متحف برلين؟ سألت مها.

لا طبعًا. أجاب حسين. الإنذار هيكون إنذار كاذب. . . اللي هيحصل إنَّه بسبب الإنذار هيتم إخلاء المتحف والاتصال بالبوليس والمطافي وعمل فحص كامل للمتحف.

-إنت عايز البوليس والمطافي في المتحف؟ سأل سيد بس هما مش هيلاقوا حاجة.

-بالضبط وهو ده اللي أنا عايزه – بعد فترة مش هيلاقوا حاجة فهيدخلوا الناس والأطفال المتحف ثاني وهي دي فرصتنا. إحنا هندخل المتحف كزوار بس كلنا لازم نكون متنكريين ونغير شكلنا تمامًا وأعتقد يوسف ممكن يساعدنا في الموضوع ده. دكتوره مها هتدخل على كرسي متحرك لأنَّها يعني هتمثل إنَّها حامل ومش قادرة تمشي. . . ببساطة هنستنى لما يكون أكبر عدد من الزوار داخل قاعة نفرتيتي ويوسف هايشغل إنذار الحريق تاني بس

المرة دي هنستخدم قنابل دخان بحيث الدخان يملي القاعة تمامًا.

-ثواني بس يا دكتور هندخل قنابل دخان المتحف إزاي؟ سألت مها.
-الحقيقة ده هيكون في الحمل الكاذب بتاعك أجاب حسين. قنابل الدخان بلاستيك وأي امرأة حامل ممنوع تعدي على الجهاز بتاع كشف المعادن علشان الإشعاع فأنت بدل الطفل هيكون حوالين جسمك شنطة فيها قنابل دخان كثيف ومسدس لايزر.
-مسدس؟ أنا مش ممكن أشيل سلاح.
-ده مسدس ليزر هيكون بلاستيك ومطبوع على طابعة ثلاثية الأبعاد هنشتريها من ألمانيا علشان نقدر نفتح الزجاج اللي مغطي تمثال نفرتيتي.
-أيوه بس أنت نسيت إنَّك لو قربت من التمثال جهاز الإنذار هايضرب. سأل سيد.
-جهاز الإنذار في المتحف إحنا شغلناه بالفعل، وهيكون هم الجميع إخراج الأطفال والعجائز والمعاقيين من المتحف، وكده كده الإنذار شغال مش هايقف فدي فرصتنا الوحيدة إن إحنا نكسر الزجاج ونأخد التمثال.
-طيب والبوليس والمطافي اللي هايملوا المكان؟
-دي هتكون المرة الثانية في نفس اليوم يعني الاستجابة هتكون

أبطئ؛ لأنَّهم هايعتقدوا أن في عطل في النظام زي المرة الأولى وده هيدينا وقت كافي لسرقة التمثال.

-وهاتخرج التمثال إزاي من المتحف؟

-الدكتورة مها مش هاتدخل حامل وتخرج فاضية؟؟ بعد استخدام قنابل الدخان والماسكات ومسدس الليزر نفس الشنطة اللي دخلت بيه هنحط فيها التمثال. التمثال وزنه لا يزيد عن ٢٠ كيلو جرام وطوله ٤٨ سم بس يعني التمثال مش كبير.

-حتَّى لو اللي إنت بتقوله ده نجح إنت متخيل إيه اللي هيحصل في ألمانيا بعد سرقة التمثال. سألت مها.

-أكيد بس إحنا هناخد كل حاجة في وقتها – الموضوع خطير جدًا أنا فاهم وفي احتمال يتقبض علينا، ونقضي باقي عمرنا في السجن بس إحنا كلنا هنعمل أي حاجة علشان عهد وسيد وحضرتك ليك كل الاختيار في مرافقتنا أو لا؟ طبعًا هانتفهم لو مش عايزه تخاطري بمستقبلك ومكانتك في مصر.

نظرت مها إليهم وفكرت. . . كم كرهت أن أكون عالمة آثار ومعظم آثار مصر القديمة خارج مصر. أتقدم بطلبات لفرنسا وإنجلترا وألمانيا لفحص آثار مصرية منهوبة من مصر إحساس بالقهر والذل أن تستأذن من سرقوا آثارك في الاطلاع عليها. . . دكتور حسين أنا معكم وإن لم توجد متعة غير استرداد تمثال نفرتيتي، فلا مانع عندي أن أُخَطِر بحياتي من أجل ذلك.

سيد على هاتفه المحمول. . . تمام نتحرك خلال ٥ ساعات. أغلق سيد الهاتف وتحدث إلى المجموعة إحنا هننزل في مطار هيرنج سدورف مطار صغير على جزيرة خارج برلين.
وهناك هيكون في عربية في انتظارنا تأخدنا على برلين. دخول المطار هيكون بسريَّة مفيش جوازات ولا أختام (أشباح) الأوراق الرسمية لخروجنا من مصر على جورجيا وجوازتنا هتتختم هناك دخول ودي دولة بدون فيزا مسبقة للمصريين والطائرة اللي هتنزل ألمانيا نازلة لعطل مفاجئ وبدون ركاب.
-يوسف. . . المعدات والدعوات المجانية للمدارس ودور المسنين؟
- تمام يا دكتور الموقع اِتعمل ومكانه هونج كونج وفلوس التذاكر اِتبعتت من حساب وهمي هناك والتذاكر راحت المدارس ٧٠٠ تذكرة اشتريتهم أونلاين واتوزعوا على المدارس.
ممتاز جدًا ممكن ترتاح كام ساعة لميعاد السفر طلب حسين من سيد.
-مفيش راحة من غير عهد.

***

أخيتاتون :
تحولت المدينة إلى أنقاض بعد وفاة إخناتون هجرها العمال والفنانيين والمهندسين. تحولت العاصمة إلى طيبة مرة أخرى ومعها خفتت أضواء أخيتاتون حتَّى اختفت. لم تبقَ إلَّا أضواء

ورشة تحتمس والتي لم تنطفئ بها الأنوار يعمل في ورشته ليل نهار.
-ماذا تعني بالخلود Heringsdorf [illegible]ت نفرتيتي.
-الخلود سيدتي هو البقاء للأبد. أن تبقي جميلة مدى الحياة لا موت ولا شيخوخة.
-ولماذا قد أريد الخلود؟
-كلنا نخاف من الموت مولاتي ومن منا لا يريد الخلود؟
أنا لا أريد الخلود. . .
ما معنى أن أعيش حياتي بدون من أحب. . . لقد كنت أحب زوجي وجعل مني ملكة لمصر وأعطاني كل الحب والاهتمام الذي حلمت به فلماذا أعيش من بعده أنا لا أريد الخلود تحتمس بل أريد الموت فلا طعم للحياة بدون من أحب – لقد خرج ابني من أخيتاتون وعاد إلى طيبة وغير اسمه متقربًا إلى أمون، والآن أنا أريد الهروب أريد أن أقضي ما تبقى من عمري بعيدة عن الناس جميعًا.
لقد كنت مخلصًا لي ولزوجي طول الوقت وأنا أعلم أن زوجي قد طلب منك الخلود لي ولكن ها أنا امامك أطلب منك العكس أطلب منك أن تخلصني من حياتي بدون ألم أريد أن أرافق زوجي في الحياة الآخرة. . . فأنا لا أطيق الحياة بدونه. انظر إلى تحتمس. . . وخلعت غطاء رأسها وظهر رأسها الحليق بدون

شعر هل هذا ما كان يريده زوجي لي؟ هل هذا هو الجمال الدائم؟ أنا أعيش متخفية بين الناس حتَّى لا يعرفونني أعيش في الهروب المستمر لا أريد التواجد في القصر.
أنا لا أريد الخلود. . . أنا أريد الموت.

***

إخصاء:
هذا ما أخبروني به عند دخول غرفة العمليات. . . نصف ساعة بين مشرط الجراح وسلاح الجندي. . . مبروك لقد انتهيت من عملي قالها الطبيب وهو يعطيني شهادة عليها اسمي إنَّه تم إخصائي . شهاده تكريم قال إنها ستتفيدني في حياتي عند مقابله الجنود.
في الثالثه عشر من عمري أجلس أمام المستشفى على قارعة الطريق لا أستطيع الحركة، أو المشي إلى منزلي. جلست على الرصيف أفكر لماذا حكمت عليَّ الدولة أن نسلي غير مرغوب فيه؟ لماذا حكم عليَّ ألَّا أمتلك طفلًا في يومًا من الأيام؟
جلست على الرصيف أبكي لفترة ثمَّ تحركت إلى منزلي. قابلت والدتي على الباب وهي تنظر إليَّ وأنا أنظر إلى عينيها ولا أدري من ألوم على حالي؟، في اليوم الثاني مع وجع العملية ذهبت إلى المدرسة وأنا أحمل على كتفي الشارة الصفراء. شارة اليهود حتَّى يعرف الجميع من أنا.

على باب المدرسة وقف جندي مسلح وأشار إليَّ بالعودة إلى منزلي... أخبرته أنِّي طالب بالمدرسة وأظهرت له شهاده التعقيم. أنا ملتزم بالتعليمات... أنا مواطن جيد...

نظر الجندي إليَّ وضحك... وأخبرني أنَّه صدر قرار بطرد اليهود والزنوج من المدارس... لم يعد من حق مواطنين الدرجة الثانية التعليم. نظر إلى زملائي من النافذة وأنا على باب المدرسة لا أفهم ماذا يحدث حولي؟ لا أدري ماذا أفعل؟ لا يحق لي الدراسة ولا يحق لي العمل... ولا يحق لي الحياة.

لا أدري متى ينتهي الكابوس؟ من اِبن أغنى أغنياء ألمانيا إلى جاهل عقيم يسير في شوارع برلين بلا هديّ لا أدري إلى أين أذهب... عدت إلى منزلي إلى والدتي ورغم محاولتها المستمرة لشرح ما يحدث من حولي لم أكن لأفهم ماذا يدور من حولي؟ لم تستطع أمي أن تشرح العنصريَّة والكره.

عام ١٩٤٠ جاء الجنود لمنزلنا المهجور... كل ما تبقى لنا في ألمانيا مع القليل من الأموال والتي تركها والدي... جاء الجنود لطردنا من المنزل لقد أصدر هتلر قرار بمصادرة جميع أموال اليهود في ألمانيا... ضحك ليفي وهو ينظر إلى عهد.

هل تعرفي أن معنى اسمي باللغة العبريَّة هو المرتبط بي. أسماني أبي (ليفي) لأنه كان يحب والدتي كثيراً وأخبرها أنَّه رغم الكره والعنصرية فإنه مرتبط بألمانيا كثيراً وأنه يرجو أن أكون مثل

اسمي مرتبط بأصولي اليهودية الألمانية. مع نفس آخر من جهاز التنفس الصناعي الموصل بالكرسي المتحرك. أراد والدي أن أرتبط بألمانيا التي قامت بإخصائي وطردي في الشارع أنا وأمي بدون تعليم أو أموال أو سقف فوق رُؤسنا؟ أراد أن يعيش اليهود كمواطن ألماني طبيعي؟

أنا أشعر بالأسف تجاهك سيد ليفي. . . حقيقه فأنا ضد الظلم ضد الجميع ولا أعتقد أنَّه يجب أن يكون تفضيل للبشر طبقًا للون أو للمعتقدات أيًّا كانت. ولكن ألَّا تظن أن من ظلم سيكون أكثر الناس إحساسا بالظلم؟ ألَا تعتقد أن ما مررت به من أهوال في حياتك قد يكون دافعًا لك ألَا تكون ظالمًا بدورك؟ أنا هنا ضد إرادتي ولا أعتقد أن لي أو لعائلتي أي دور في الظلم الواقع على عائلتك ولو كان بيدي أن أمنع ما مررت به لمنعته. أمسكت الورقة التي بيدها. . . أنا لم أشارك في كتابه هذه الوثيقة واعترض عمَّا فيها. . . ولكن لا أظن أنَّها تختلف كثيرًا عن وثيقة أخرى قمتم أنتم بكتابتها والتوقيع عليها.

-أي وثيقة؟ سأل ليفي.

-أنا من أسرة تهتهم بالتاريخ سيد ليفي وعد من لا يملك لمن لا يستحق (وعد بلفور). . . وعد الإنجليز لليهود بتوفير وطن لهم في فلسطين تحت الحماية البريطانية. . . لا أرَي أي اختلاف بين وعد بلفور ووثيقة نورمبرغ كلاهما وثائق عنصرية تعتزم طرد

الناس من منازلهم. . . فكما طردك الألمان من بيتك قمتم بطرد آلاف الفلسطينين من منازلهم واعتبرتوها حقًا لكم. . . على أي أساس سيد ليفي على أساس عنصري تمامًا لأنهم غيركم في الديانة. كل ما تحكي أنكم مررتم به في ألمانيا من ظلم تقومون بمثله مع الفلسطينيين الآن فما الفرق سيد ليفي؟

-الفرق كبير بين اليهودية والصهيونية. . . وأنا لست صهيوني.

***

٧٤ ساعة :

تفتكر موضوع الخلود وأكسير الحياة ممكن يكون حقيقي؟ ساأت مها بينما جلست بجوار حسين ينظرون إلى الرسومات التخطيطية لمتحف برلين الجديد.

الخلود حلم الجميع فمن منا لا يحلم بالشباب الدائم ومن من لا يخاف الموت؟

لقد شغل الخلود جميع البشر منذ بداية الحضارات فينبوع الحياة أو أكسير الحياة سر العنقاء أسماء متعددة لأسطورة واحدة رغبة الإنسان في البقاء للأبد وخوفه من المجهول خوفه من الموت وماذا بعد الموت؟!. الجميع يخاف الموت المؤمن باله ودين وغير المؤمن. المؤمن يخاف ألَّا يكون قد عمل من الأعمال الصالحة ما يكفي لدخوله الجنة بينما غير المؤمن يخشى أن يكون هناك إله وأنَّه قد ضيع حياته بالعبث. فمنذ زمن الجميع يخاف الموت

فهو المجهول ونحن دائمًا ما نخشى المجهول.
-قصدي بصورة علمية هل ممكن فعلًا تكون نفرتيتي وصلت لسر الخلود ولسه عايشة لحد دلوقتي؟ إنت متخيل ده ممكن يعمل إيه في التاريخ والعلم والمستقبل؟ إن إحنا نقابل حد حضر عهد الفراعنة أو على الأقل يكون عندها سر الخلود. ده اكتشاف ممكن يغير خريطة العلم في العالم.
-لفتره طويلة كانت الحقيقة العلمية الوحيدة هي الموت. لقد اِعترف العالم أن الموت هو الثابت الوحيد في حياة علمية متغيرة بسرعة كبيرة. وكان الاعتقاد أن كل الكائنات مصيرها للموت مهما طال عمرها.
-كان؟ يعني الكلام ده اِتغير؟
-يعني المفهوم العلمي أن الموت هو الحقيقة الوحيدة على كوكب الأرض اِتغيرت لما لقينا كائنات لا تموت. كائنات حصلت على الخلود بطرق مختلفة.
-يا دكتور حسين إيه الكلام اللي إنت بتقوله ده فيه كائنات خالدة عايشة معانا على الأرض؟
-كثير يا دكتورة. . . كائنات كثير اكتشفت سر الخلود أو وضع فيها سر الخلود أيًّا كان هتسميها إيه. على سبيل المثال الأستاكوزا (اللوبستر) من الكائنات الكبيرة اللي علميًّا خالده لا تموت.
-ممكن تشرح بتفصيل أكثر إنت بتتكلم عن الإستاكوزا اللي إحنا

بناكلها صح؟

-هي الإستاكوزا. . . حتَّى الآن الإستاكوزا الكائن الوحيد على الأرض اللي ما بتعجزش بالعكس قوتها وقدرتها على التكاثر بتزيد مع الوقت. يعني كل ما تكبر في السن تكون أقوى وعندها خصوبة أعلى. وده بسبب نوع من إنزيمات المادة الوراثية اسمها ( ) بتصلح أي طفرات في الخلايا وبتمنع الخلايا من عملية تقدم السن أو العجز. ففي الظروف الطبيعية، وبدون تعرضها للصيد أو الأمراض الشديدة أو الافتراس الإستاكوزا لا تموت وممكن تعيش للأبد. . . مش بس كده إحنا لقينا أنواع كثير من الكائنات الحية خصيصًا في البحر وإنت عارفه إن ده تخصصي الأساسي اللي عندها قدرة غريبة على خداع الموت أو البقاء للأبد. مثلًا في نوع من أنواع قناديل البحر اسمه (قنديل البحر الخالد) والذي بطريقة ما اكتشف طريقه للخلود.

في مراحل مختلفة في عمر قنديل البحر تبدأ بمرحلة البوليب وبعدين يتحول للميدوزا مراحل عادية بتمر بيها كل الكائنات الحية زي الإنسان بيمر بمراحل الطفولة والنضوج إلى الشيخوخة.

اللي بيعمله النوع ده من القناديل هو إنَّه عند إصابته أو جرحه أو تقدمه في السن بيرجع لمرحلة البوليب ثاني ولمدة يومين أو ثلاث أيَّام كل الخلايا بتاعته بتصغر وتعيد النمو من أول وجديد ويخرج كأنَّه كائن جديد مرة ثانية.

-ده نفس مفهوم العنقاء اللي الفراعنة اِتكلموا عنه من زمان؟
-اللي أقرب لمفهوم العنقاء عدد كبير جدًا جدًا من الكائنات اللي محدش فكر في أسلوب حياتها من قبل الأوليات والبكتريا من أبسط الكائنات على الكوكب وتمَّ وضعها في آخر شجرة التطور وتمَّ وصفها بكائنات أولية أو بسيطة غير معقدة. ولكن في الحقيقة هي أكثر تعقيدًا DNA repair enzyme مِمَّا نعتقد. الكائنات تتكاثر بما يسمى الانشطار الثنائي يعني كل خلية بتنقسم وتكون خليتين. . . بس هل هي كده ماتت؟؟ الحقيقة إنَّها نفس الخلية لسه عايشة وبقت اتنين والاتنين يتحولوا لأربعه وهكذا. . . رأيي الشخصي أن الأوليات دي أكثر تطورًا من كل الكائنات المعقدة، ففي النهاية هي كائنات لا تموت واكتشفت سر الخلود.

تبدو عليها علامات الذهول الآن وهي تفكر في كلام حسين.

سألت مها وتعتقد أن المصريين القدماء ممكن يكونوا اكتشفوا سر الخلود؟ وهل ممكن يكون في بشر خالدون؟ ده مش ممكن يتعارض مع معتقدات دينية كثير وممكن يسبب فوضى في معتقدات البشر لو أمن الناس أنَّه يمكنهم الخلود والهروب من الموت؟

-لو في حضارة على الأرض ممكن تكتشف الخلود فهي أكيد الحضارة المصرية. وأنا معاكِ إن اِكتشاف زي ده ممكن يغير البشرية ويدمر معتقدات كثير بس الحقيقة إنَّه حتَّى في جميع

الكتب السماوية كان فيه علامات لطول السن مثلًا سيدنا نوح أو نوا في الإنجيل والقرآن والتوراة عمره كان يقارب من ألف سنة أو أكثر. . . العبد الصالح أو الخضر بعض الروايات بتقول إنَّه عبد صالح يجول الأرض منذ قديم الزمان (لا يموت). ولكن هذه ليست المعضلة؟

-الخلود ليست المشكلة؟ إزاي؟

-السؤال هو من يريد الخلود؟ من يريد أن يعيش للأبد؟ تخيلي أن يشاهد كل من يحب يموت أمامه. . . يتغير الزمان وتتغير الوجوه ويتغير الناس. . . يموت من تحب وقد يكون سبب وجودك في الحياة. . . أي متعة في الحياة بعد اختفاء من تحب؟ هل تريدين فعلًا الحياة للأبد؟

***

الجيتو:

ماذا يمكن أن يريد مني ومن عائلتي؟ وكيف يمكن أن أساعده على رد شرف أهله؟ تسألت عهد في محبسها بعد أن خرج هنري جايمس مع الشاب البريطاني ليتركها للراحة مع وعد أن يعود إليها مرة أخرى.

الحقيقه أني بدأت أشعر بالأسف تجاهه فالظلم مؤلم لجميع الناس والعنصرية داء الإنسانية الأقدم. ومع أنِّي قرأت كثيرًا عن تاريخ اليهود في الحرب العالمية الثانية لمْ أتخيل أن أقابل واحد

ممن نجو من النازية في ألمانيا. العجيب في الأمر كيف يمكن بعد كل ما مر به اليهود في ألمانيا أن يقوموا بنفس الشيء في فلسطين؟ كيف لمن تعرض للظلم الفاحش أن يتحول إلى الظالم الآن؟ هذا العالم الغريب والإنسان الذي لا يتعلم من الحياة. لديَّ وقت كثير للتفكير فهو يقول خمس أيام ويتنهي الأمر والآن اليوم الثالث. لماذ يختار الإنسان الحرب والدمار؟ لماذا يعتقد أنَّه قد يكون أفضل من إنسان آخر وأنَّه يستحق الموت أو العذاب؟ جلست عهد أمام نافذة غرفتها تفكر.

هل ستقابل سيد مرة أخرى؟ هل سيستطيع حسين أن يحصل على ما يريد ليفي؟ نامت من التعب على المقعد بجوار النافذة. أفاقت على ضربات منتظمة على الباب واستاذان بالدخول. . .

دخل ليفي على كرسيه المتحرك مرة أخرى إلى غرفتها واقترب من مجلسها بجوار النافذة.

-أريد أن اكلم زوجي؟ طلبت عهد.

-زوجك الآن في طريقهِ إلى ألمانيا وأعتذر أنَّه قد لا يمكن أن تتصلي به حاليًا. أجاب ليفي.

-ألمانيا؟ وماذا يفعل زوجي بألمانيا؟

-يحاول اِنقاذك.

-ولكني في إنجلترا. ماذا تريد سيد ليفي؟

-لقد أخبرتك ما أريد سيدتي أريد رد اعتبار أسرتي، وقد تمَّ قهرنا

في ألمانيا فمن الطبيعي أن يتم رد الاعتبار من هناك.

-ولا تعتقد أن من شعر بالظلم مثلكم يجب أن يتغير سيد ليفي؟ فما الفرق بين ما قام به الألمان تجاه اليهود في الحرب العالمية الثانية وما يفعله اليهود كل يوم بالفلسطينيين الآن؟ تخرجونهم من ديارهم كما أخرجوكم من دياركم من قبل، تقتلونهم وتقتلون أولادهم كما فعل معكم من قبل وتسجنون من يعترض. ألا تعتقد أنكم تعيدون التاريخ بحذافيره سيد ليفي؟ ألا تعتقد أن استجداء تعاطف العالم معكم الآن قد لا يكون له معنى مع ظلمكم المستمر لفلسطين المحتلة؟

-اتفق معك سيدتي. . . بهدوء أجاب ليفي سايمون. ومع نظرات التعجب والدهشة من عهد. . . سألها هل سمعتي عن الجيتو سيدتي؟

-حي اليهود. . . أجابت عهد.

-نحن مختلفون جدًا كباقي الشعوب فأنا ولدت يهودي وهذا ما ليس لي به ذنب. . . بالنسبة لي موضوع الدين لم يكن مهمًا في يومًا من الأيام بل كرهت الدين معظم حياتي؛ لأنه كان سببًا رئيسيًا لعذابي. في عام ١٩٣٩ أصدر هتلر برنامج التقل الرحيم للتخلص من باقي اليهود في ألمانيا برنامج إبادة جماعية يهدف للتخلص من اليهود، والزنوج والمعاقيين وليس اليهود فقط ولكن الأغلبية كانت لليهود.

كان لا مفر لنا من الفرار من ألمانيا يجب أن نخرج. . . هربت أنا وأمي إلى بولندا حيث كان هناك عدد من أقاربنا يعيشون في أكبر تجمع يهودي في أوروبا في ذلك الحين في وأرسو. . . رحلة من العذاب والتخفي وحتَّى الوصول إلى وارسو. . . لما يمهلنا هتلر وقت طويلًا فقد تبعتنا القوات الألمانية إلى بولندا وسقطت وارسو وبولندا في أيدي الألمان، وكانت شرارة الحرب العالميه الثانية.
بعيدًا عن الحرب فقد قرر هتلر عمل جيتو لليهود في وارسو. . . حي لليهود كما أطلق عليه في مصر وفي كل مكان في العالم. ولكن جيتو هتلر مختلف فقد تمَّ جمع اليهود جميعًا في مكان صغير من وارسو وقمنا ببناء سور حولنا. . . في الرابعة عشر من عمري أرغمت أنا والكثير من اليهود في بولندا في العمل على بناء سور حول جيتو وارسو لشهور عديده لم نكن نعلم ماذا يحدث وما فائدة السور. . . حتَّى جاء القرار إغلاق الجيتو على من
بداخله. . . لا يسمح لنا الخروج ولا يسمح لأحد بالدخول سجن كبير بنينا أسوارة بأيدينا.
قد لا تصف الكلمات الحال داخل الجيتو والجنود الألمان على الأسوار يستمتعون بصيد اليهود من الداخل وكل من يقترب من الأسوار كنا مثل الطيور يقتل منا العشرات يوميًّا للمتعة. . . لا يوجد طعام ولا يوجد علاج ظروف لا يمكن وصفها. . .
ماتت أمي بين يديّ في الجيتو من الجوع والمرض. . .

أتذكر اليوم جيدًا فقد كنا ننام في بيت متهدم تشعرين بالبرد في كل أطرافك وكل يوم ننام من الجوع أو من التعب الأكل المتوفر من بعض المساعدات والتي يقدمها لنا البولنديون عبر حفر صغيرة في السور الفاصل بيننا وبينهم أو من خلال أطفال صغار يخرجون من فتحات صغيرة ويعودون ببعض الغذاء من الخارج لنا... في يوم استيقظت في الصباح وكانت أمي نائمة بجواري انتظرت ولم أريد أن أوقظها فلماذا أوقظها على آية حال؟ ولكن طال نومها... حاولت أن ألمس كتفها وأحركها من مكانها... لا مجيب... صرخت فيها أن تقوم من مكانها... لا مجيب.. ماتت بجواري من الجوع والمرض... للحظات نظرت إليها نظرات الحسد فقد ارتاحت الآن من العنصريَّة ارتاحت الآن من عذاب الألمان بينما بقيت أنا في مكاني بجوار جثتها لا أدري ماذا أفعل ولا إلى أين أذهب. يومين وأنا أنام في حضن جثة أمي حتَّى أتى العمال وقاموا حملها على عربة لمنع الأمراض. شاهدت جثة أمي يتم تحميلها على عربة تجر بالأيد عليها أكثر من عشرون جثة حتَّى يتم دفنهم في مدافن جماعية في منطقه بعيدة في الجيتو.

في الحقيقة لا أرى فرق كبير بين الجيتو وفلسطين... تحدثت عهد.

فهذا ما فعله اليهود في فلسطين حرفيًّا سيد ليفي... فقد قمتم

بتقسيم الأراضي تقسيمًا عنصريًّا. وحصرتم الفلسطينين في قطاع صغير من أرضهم. . . ولم يكتفي اليهود بهدم البيوت وطرد سكانها. . . هل تعلم أن الفلسطينين مسموح لهم بالماء ٢٠ يومًا في الشهر فقط؟ هل تعلم أن الكهرباء لمدة أربعه ساعات يوميًّا فقط ؟؟؟

هل تعلم سيد ليفي أنَّه رغم كل ما قصصته عليَّ حتَّى الآن لن أستطيع أن أنسى صورة الطفل محمد الدرة ما حييت. . . هل سمعت عنه سيد ليفي؟

الطفل الفلسطيني الذي قتل بين يدي والده. . . هل رأيت لحظة موته وهو يتشبث بوالده خوفًا؟ هل رأيت نظرة والده وابنه قتيلًا بين يديه؟ هل شعرت بالحزن والغضب والقهر والظلم وأنت تجلس في بيتك ومصورًا فرنسيًّا يبكي على المشهد. . . وأنت لا تستطيع أن تتحرك أو تعترض؟ أنَّها أرضهم سيد ليفي وأنتم المحتلون. . . لا فرق بينكم وبين الألمان وجهان لعملة واحدة اسمها العنصريَّة والعنف.

إن كنت قد نجوت من النازية وجائت لك الفرصة أن تحكي قصتك فمحمد الدرة لم ينجُ وقتله الجنود الإسرائليين أمام العالم وبين يدي والده بدون تردد. إن كنت أنت قد نجوت فلم ينجُ الشيخ القعيد كبير السن أحمد ياسين من القصف ليروي قصته.

هل تعتقد أنَّه من المفترض أن أتعاطف معكم الآن وأنسى مذبحة

دير ياسين؟ هل تعتقد أنَّه يوجد فرق بين دير ياسين وبين ما حدث لكم في الجيتو سيد ليفي؟ عندما يدخل اليهود على قرية نائمة لقتل أكثر من ٣٠٠ شخص نساء وأولاد صغر فقط لترويعهم وإخراجهم من ديارهم وجعلهم عيرة لمن يعتبر. . . أنا أتأسف لموت والدتك بين يديك، ولكن جرائم الإسرائيلين في فلسطين لا تقل شناعة عن جرائم النازية في ألمانيا.

أنت أجلستني هنا وأعطيتني هذه الورقة وقصصت عليَّ قصتك لا أدري لماذا؟ هل تطلب تعاطفي سيد ليفي؟ أنا إنسانة وأتعاطف مع الإنسانية كلها، ولكني لن أنسى عصابات الهجانة وما فعلته في فلسطين نفس العنصريَّة التي تحكي أنَّها دمرت حياتك سيد ليفي.

عصابات يهودية متعصبة مسلحة بدعم خارجي لا يحترمون قانونًا أو إنسانية. . . -ندافع عن إسرائيل- هذا كان شعارهم رغم أن أغلب من قتلوا نساء وأطفال. . . هل تعلم سيد ليفي كم طفلًا فلسطينيًّا يقبع خلف أسوار الاحتلال الإسرائيلي؟ هل تعلم أن أغلب التهم هي رفع حجر أمام الدبابات الإسرائيلية. . . أنَّهم أطفال الحجارة فلا يملكون غيرها سيد ليفي أطفال الحجارة الذين لن تستطيع إسرائيل أن تسكتهم يومًا ما.

وإن أسكتتهم إسرائيل فستتحدث عنهم الحجارة لتروي قصص بطولاتهم وشجاعتهم. ستشهد الأرض لهم.

***

٧٢ ساعة :
في المطار. . . إلى أين دكتور حسين؟
-جورجيا إن شاء الله إجازة سريعة.
-توصلوا بالسلامة.
في الطائرة الخاصة جلس حسين ومها مع أشرف وسيد بينما طارت جوزات السفر الخاصة بهم في الطائرة المتوجهة إلى جورجيا، خمس ساعات وحتَّى المطار الصغير خارج برلين.
-أول ما نوصل المطار في عربية هتكون مستنية لازم نركب فيها بسرعة قبل ما الجوازات والبوليس يوصل الطيارة. تحدث سيد.
-أنا درست الطرق كلها وشبكة المتاحف على الجزيرة، وحجزت باسم مختلف في فندق نوفوتيل برلين، الفندق على جزيرة المتاحف وده أقرب مكان ممكن أعمل هاك لنظام المتحف أو أي حاجة قريبة منه، تحدث يوسف.
-محتاجين قنابل غاز كثيف تكون في عبوات بلاستيك، ماسكات رؤيه ليلية، مسدس ليزر بدون أي معادن، كرسي متحرك، أدوات مختلفة للتنكر لدخول المتحف بالإضافة إلى سماعات تليفون صغيرة لازم نكون كلنا قادرين نتكلم مع بعض طوال الوقت.
تحدث حسين.
-المعدات هتوصل على فندق يوروستار اللي محجوز فيه ثلاث غرف ليكم بأسماء مختلفة طبعًا، الفندق قريب من الجزيرة

وأقرب مكان ممكن نتجمع فيه بعد انتهاء المهمة أجاب يوسف.
نظر حسين إلى خريطة المتحف. . . وجود المتحف على جزيرة بيحدد الطرق اللي داخله وخارجه من الجزيرة. أقرب طريق خروج عن طريق شارع بودستراب ( ) وده ياخدنا بسرعة على الفندق اللي حجز فيه يوسف. بس مهم إن إحنا نقفل الشارع من الناحية المقابلة وده الكوبري اللي هايدخل منه البوليس والمطافي للمرة الثانية في نفس اليوم. كوبري فريدريكبورك ( ) ده المدخل الأقرب للمتحف ولازم المرة الثانية يكون مقفول على الأقل لمدة دقائق تدينا وقت أطول للخروج من المتحف والوصول للفندق.
-بسرعة دخل يوسف على منظومة الطرق في برلين. . . أشارات المرور ممكن أتحكم فيها بس للأسف سيارات الشرطة مش هاتقف في الإشارة.
-الكوبري عرضه أد إيه؟ سأل سيد.
-الكوبري ده أثري وتمَّ ترميمه أكثر من مرة والعرض حوالي ٢٧ متر وفي جزء كبير عبارة عن رصيف للمشاه. وبيكون عليه عروض موسيقية لأفراد معظم الوقت والمكان يعتبر متنزه للأفراد. أجاب يوسف.
-فنانيين الشوارع. . . ممكن نوصل ليهم سأل حسين.
-كلهم ليهم مواقع تواصل اجتماعي. . . أجاب يوسف.

-ممكن نعمل مهرجان على الكوبري اليوم، ونعمل دعوة لأكبر عدد ممكن منهم للتواجد على الكوبري. إعلان على فيس بوك، تويتر وإنستجرام نحدد فيه المكان ونسيب التواصل الاجتماعي يجمع لينا الناس. BodestraBe

-بس ده ممكن ما يقفلش الشارع تمامًا؟ سأل سيد.

-لازم عربيات كبيرة في الحجم تقفل الشارع. على الأقل لفترة صغيرة. أجاب حسين.

-أوبر الحل. . . أجاب يوسف. . . الموضوع سهل إحنا هنعمل
Friedrichsbruke Bridge
طلب لعربيات أوبر مع تحديد الموعد والمكان والناس دي ملتزمة جدًا الفرق الوحيد إن إحنا هانطلب عربيات كثير جدًا وكلهم في نفس المكان. ده كفيل إنَّه يقفل الكوبري ويبطئ الحركة عليه.

-حتَّى لو اللي بتتكلموا عليه حصل مستحيل التمثال يخرج من ألمانيا؟ سألت مها.

-دي أنا عندي ليها حل بس خليها في وقتها. أجاب حسين.

***

أنا عالم تمامًا ما تشعرين به سيدتي فقد شعرت بمثله في الجيتو. . تحدث ليفي.

هل تعلمين أنَّه في نفس الوقت الذي مات فيه يهود داخل الجيتو من الجوع والمرض أو تجمدوا من البرد عاشت طائفة من اليهود داخل الجيتو عيشه مرفهة؟ يأكلون أطيب الطعام، ويتم

تهريب الأدوية والخمور لهم بصورة يومية. . . عاشوا داخل الجيتو يشاهدون عروضًا مسرحية وحفلات غنائية بينما يموت الأغلبية من الجوع والفقر. . . كان يعيش بيننا يهود في غاية السعادة لا يعانون حتَّى أن جوبلز وزير إعلام هتلر كان كثيرًا ما يبعث المصوريين لالتقاط صورًا لليهود الأغنياء المتعاونين مع الألمان في الجيتو بجوار اليهود المصابيين بالمجاعة والأمراض ليرى العالم كيف أن اليهود يستحقون الموت وأنَّهم لا يهمهم بني جنسهم وبعضهم غارق في النعيم بينما البعض الآخر يموتون من الجوع والأمراض.

بعد موت والدتي ركضت نحو السور بدون هدف وأنا أصرخ في وجه الجنود الألمان. . . وكل ما سمعته صوت رصاصة واحدة.

رصاصة واحدة أصابتني في قدمي اليمنى. . . تحدث ليفي هنري جايمس لعهد. . . سقط على الأرض أمام البوابة وبينما هم الجنود بإطلاق رصاصات أخرى إلى جسدي الواهن القابع علي الأرض أماهم. صرخ أحد القادة (رصاصة واحدة تكفي) لا تهدروا الرصاص على الحيوانات سيموت من الجوع أو البرد بكل حال من الأحوال. . .

لا أدري هل من حسن حظي أو من سوء حظي. . . لا أدري كم من الوقت غبت عن الوعي. بعد فترة أفقت في غرفة ملئت عن آخرها بالمصابيين والمرضى. مركز إنقاذ داخل الجيتو وقد وضع

بعض القماش القديم على قدمي المصابة. حاولت القيام حضرت إلى طبيبة لم أتذكر أنِّي رأيت جمال مثل جمال وجهها من قبل، لا أدري هل هو هذيان المرض أم أنَّها كانت كملاك تنظر إليَّ. . لا تتحرك طلبت مني فقد أخرجنا رصاصة من قدمك الآن وقد لا تستطيع السير عليها لفترة من الزمن. لا ترتدي شارة نجمة داوود؟ نظرت مرة أخرى إلى يديها أنَّها لا ترتدي شارة نجمة داوود الإجباريَّة على اليهود. هل انتهت الحرب؟ هل انتهت قوانين النازية بينما كنت غائبًا عن الوعي؟

أحضرت لي بعض من الحساء الساخن. . . لم أذق الطعام منذ فترة طويلة وجسدي أصبح نحيلًا جدًا فأنا أستطيع أن أرى جميع عظام جسدي. . . انت يهودية؟ استجمعت قوتي وسألت.

- لا أنا بولندية. . . أجابت مع ابتسامة أنارت وجهي.

- وماذا تفعلين هنا؟ هل أجبر الألمان غير اليهود على دخول الجيتو أيضًا؟

- لا ولكن نحن هنا بإرادتنا وأشارت إلى مجموعة من الممرضات والأطباء والذين يقومون بتجهيز الطعام وبعض الأدوية للمصابيين والمرضى. . . نحن جزء من حملات إغاثة تبرع بها البولنديين خارج الجيتو لمساعدتكم.

لم يستطع الرد، وبدأت الدموع تنهمر من عينيه. لقد كدت أن أفقد الأمل في إنسانية الكوكب. ما بين ظلم وعنصرية بدأت أشك

في وجود إله للكون بل أشك في وجود قلوب وأحاسيس ومشاعر للبشر. وها هي الآن ملاك من السماء جاءت بإرادتها للجحيم لتساعدنا. بإيديها الناعمة مسحت الدموع من على وجهه ونظرت إليه لا زلنا بشرًا والجميع خارج هذه الأسوار متعاطف مع قضيتكم وقريبًا ينتهي الأمر. . . كانت كلماتها كافية أن تزرع الأمل مرة أخرى في قلبي أن تزرع فيَّ رغبة في الحياة فقدتها من زمن.

لن أستطيع المشي جيدًا لباقي عمري. . . كُتِبَ عليَّ أن أعرج لباقي حياتي فقد أصابت الرصاصة عظام قدمي. لم أمانع كثيرًا نظرًا لما مررت به فالعناية الطبية المحدودة أنقذت حياتي.

كما قلت نحن مختلفون تمامًا وليس كما تعتقدين. . .

-مختلفون أم لا. . . في الحقيقة لا يهمني سيد ليفي. . . أنت تحدثني عن النازية منذ زمن طويل وأنا أحدثك عن واقع يعيشه الفلسطينين الآن؟ الأطفال يمنعون من دخول مدارسهم بينما نتحدث الآن سيد ليفي الأطفال في السجون الآن سيد ليفي؟ الفلسطينويون يعيشون الآن في أسوأ الظروف أنا لا أتحدث معك عن الماضي. . . ماضيك هو حاضرهم سيد ليفي.

-أنت على حق. . . أجاب ليفي ومع ضغطه على زرار صغير على كرسيهِ المتحرك. . . دخل الشاب الإنجليزي المتأنق دائمًا.

لقد نسيت أن اعرفك على مدير أعمالي. . . إنَّه السيد فارس.

فارس لورانس. . . فلسطيني إنجليزي. ولذلك هو يتحدث العربية بطلاقة فهو لام فلسطينية من غزة بينما والده إنجليزي من نيوكاسل.
هل من الممكن أن تعطي الأستاذة عهد جزء من وصيتي؟ طلب ليفي من فارس.
خرج فارس من الغرفة وعاد سريعًا متوجهًا إلى عهد مع مظروف مغلق. فتحت عهد المظروف وبه وصية ليفي جايمس سايمون.
قرأت ببطئ الوصية: -أوصي أنا ليفي هنري جايمس سايمون بكامل ثروتي لمنظمة الإغاثة الطبية الفلسطينية-. . . نظرت عهد إلى ليفي مرة أخرى.
كما قلت لك سيدتي نحن مختلفون تمامًا. . . لقد عانيت من الظلم كثيرًا في حياتي وأنا أشعر بالظلم الواقع الآن على الفلسطينين، وأؤكد لك أنَّه كما أنت إنسانة يوجد منا من لا يزال يحمل الكثير من الإنسانية والتعاطف مع القضية الفلسطينينة. الكثير من اليهود يرفضون ما يحدث في فلسطين. . . للأسف قد لا أستطيع أن أفعل الكثير ولكن هذا كل ما أملك ربما تكفير عن ذنوب لم أقم بها. . . ولكن هذا ما أفعله طوال حياتي فقد عشت حياتي كلها تتم معاقبتي على ما لم أقوم به.
أنا أريد أن أعود إلى مصر. . . وحتَّى الآن أنت لم تخبرني عن سبب وجودي في منزلك في إنجلترا وما تريده مني؟ سألت عهد.

-أنا أبحث عن ملاك الموت. . . . أجاب ليفي ولا يوجد غيرك من الممكن أن يوصلني إليه.
-أنا لا أفهم شيء ماذا تعني بملاك الموت؟ هل تريد أن تموت سألت عهد.
مع عام ١٩٤١ كان الألمان قد ملوا من مشكلة اليهود وكان الحل أن تتم الإبادة الجماعية لهذه الحشرات والتي ملئت الكوكب الهولوكوست. . . قتل عشوائي واعتقالات دورية وإرسال إلى السجون. لم أسلم من الاعتقال ففي النهاية كان عمري ١٦ عامًا أي أصلح للعمل في المعتقلات أو المصانع الألمانية.
في المعتقل قابلته للمرة الأولى عند دخول المعتقل. سمعت عنه من قبل من بعض الموجودين في الجيتو. تخيلته وحش كاسر بلا قلب أو حتَّى ملامح (يوزف منغيله).
وقفنا صفًا واحدًا بلا ملابس أمامه ليفحصنا. . . لم أفهم في البداية ماذا يحدث كان يشير إلى مجموعة بالتحرك لليمين ومجموعات أخرى للتحرك يسارًا.
المجموعه التي تتحرك يمينا يقوم الجنود بتحريكهم سريعًا في اتجاه بعيدًا عنا الكل يجري ولا ندري إلى أين، بينما المجموعة التي تتحرك يسارًا يتم إعطائهم ملابس السجن ويقومون بتحريكهم إلى الثكنات. جاء دوري نظر إلى جسمي وأرى عينيه تخترق طبقات جلدي وأشار إليَّ بالتوجه لليمين. . . وقفت قليلًا منتظرًا

أن يكتمل عددًا معين ثمَّ بدأت الرحلة بدأ الجنود بالصراخ فينا بالتحرك سريعًا. . . الكل يجري بلا نظام الجميع شبه عرايًا نتحرك بسرعة. لا أحد يجيب إلى أين نتحرك المهم أن نسرع بالحركة. . . الغرفة كبيرة في الحجم صعدنا السلالم مربع كبير محاط بالبلاط ومفتوح من الناحيتين. الرائحة كريهة رائحة الموت والتي اِعتدنا عليها في الجيتو. . . وقف الجنود في الجهة المقابلة دخل الجميع إلى الغرفه. . . أصبحت مكتظة تمامًا. . . لا أستطيع التنفس من الزحام.

اِكتمل العدد أغلق باب حديدي ووقف الجميع ينظرون إلى بعضهم لا ندري ماذا يحدث من حولنا. . . لحظات وبدأ الغاز يملي الغرفة. . . حاولت الصراخ. . . الجميع يصرخ ويحاول الهرب. . . لا مفر الغاز ينتشر بصورة كبيرة الآن مجموعات كثيرة Josef mengele بدأت في الاختناق. . . أشعر بالاختناق لا أستطيع التنفس، ولكني أرى من حولي استندت على جانب من جوانب الغرفة وجلست منتظرًا الموت. . . الغاز متقطع يخرج بكثافة في أحد الجوانب بينما لا يخرج من الجانب الذي أجلس فيه دقائق مرت وكأنَّها سنوات.

توقف الغاز. لا أستطيع الرؤية جيدًا في الواقع لم أعرف إن كنت لا زلت حيًا؟ فتحت الأبواب في الجانب المقابل أستطيع أن أرى عربة نقل كبيرة وقفت بظهرها أمام الباب الخلفي للغرفة بينما

في المقدمة وقف المساجين اليهود والذين قاموا بتحميل الجثث ووضعها في العربة.
بعضهم لا يزال حيًا... صاح أحد المساجيين مشيرًا إليَّ وإلى بعض من معي.
قاموا بحملي ومن معي لا نتجاوز العشر أفراد.
ربما هناك خطأً في غرفة الغاز تحدث الجندي ومن خلفه وقف يوزف منغيله... أريد هؤلاء في معملي وأشار إلينا. تمَّ إعطائنا ملابس الآن وتمَّ اقتيادنا إلى ما يشبه المستشفى ملحق بها أماكن للسكن. في الحقيقة تبدو أكثر نظافة من باقي المعتقل والمساجين بها يرتدون ملابس مختلفة ومن الواضح أنَّهم يأكلون جيدًا.
أنت محظوظ قالها أحد الجنود ضاحكًا وهو يدفعني للغرفة...
لقد أصبحت أحد تجارب ملاك الموت.

***

٦٦ ساعة:
مطار هيرنجسدورف:
-نطالب بهبوط اضطراري لعطل في الطائرة.
-كام راكب على الطائرة وجنسياتهم؟
-لا يوجد ركاب على الطائرة طيار ومساعد طيار مصريين الجنسية، ويوجد عطل في المحرك.
-تمَّ إعطاء الإذن بالهبوط على المدرج الرئيسي وستكون عربات

الإسعاف في الانتظار.
-قد لا أستطيع. . . . . وانقطع الصوت.
إحنا خلاص وصلنا لازم تكونوا جاهزيين للتحرك بسرعة أنا هنزل بالطيارة بعيد عن الممر وجنب سور المطار اللي العربية مستنياكم عنده وهافتح الباب من الجهة المقابلة للسور النزول يكون سريع نحو العربية السواق هيديكم إشارة ضوئية تتحركم ناحيتها بسرعة. مش عايز أفكركم مفيش جوازات يعني لو اِتقبض عليكم مشكلة كبيرة. تحدث الطيار.
بسرعه تجهز الجميع للهبوط أخذ حسين العين، ووضعها في علبة صغيرة في حقيبته وجلس الجميع على مقاعدهم مع حزام الأمان محكم. هبط الطيار بالطائرة بسرعة في ممر ترابي بجوار سور المطار مِمَّا أَثار كثيرًا من الغبار وفي مناورة سريعة استدار بالطائرة حتَّى يكون الباب مواجهًا للسور وبسرعة فتح الباب وأخرج السلم. نزل الجميع سريعًا بجوار السور بينما أغلق الطيار باب الطائرة، واستمر في التحرك باتجاه أضواء سيارات المطافي والإسعاف المتوجهة نحو الطائرة.
بسرعه كبيرة أشار سيد إلى أضواء سيارة الدفع الرباعي الموجودة بجانب سور المطار تحرك الجميع باتجاه أضواء السيارة، حيث وقف السائق يرفع أجزاء من السلك المحيط بالمطار الصغير مِمَّا سمح لهم بالعبور وركبوا جميعًا السيارة. وبدأت رحلة التحرك

نحو برلين.
-لا أستطيع أن أتحكم في ضربات قلبي. قالت مها وهي تجلس بجوار حسين في الكرسي الخلفي للسيارة.
أمسك حسين بيديها بدون أن يتحدث محاولًا أن يطمئنها وإن كان لا يعرف شخصيًّا إن كانت خطتهُ ستنجح أم لا؟ حاول حسين أن يغمض عينيه في الطريق، وحتى برلين بدون جدوة الوقت يمر بسرعة كبيرة، وهم مقدمون على مخاطرة كبيرة بسرقة أهم قطعة أثرية في ألمانيا.
وصل الجميع إلى فندق يوروستار في برلين في غرفة سيد جلس حسين مع مها وأمامهم المعدات، والتي طلبها يوسف من أوروبا الشرقية ومن روسيا ووصلت للفندق. بينما فتح يوسف الاب توب الخاص به وتحدث:
الساعة الآن الثامنة صباحًا خلال ساعتين من الآن يفتح المتحف أبوابه للزوار. تمَّ التأكد من إرسال الدعوات للمدارس ودور المسنين وتمَّ استقبال تأكيد من أربع مدارس ودار للمحاربيين القدامي واثنين من دور المسنين على الأقل ٤٠٠ زائر اليوم للمتحف. أشار يوسف للموقع المزيف والذي أنشأه من ساعات.
تمَّ عمل إعلان عن حفل غنائي راقص على كوبري فريدريكبروك والاستجابة للحضور على مواقع التواصل كبيرة جدًا بعد تحويل أموال للفنانين وإقناعهم أنَّها حفلة لتنشيط السياحة ببرلين.

وعملي المميز (اقتحمت موقع أوبر وتمَّ إرسال حجز مسبق لعدد ٣٠ سيارة) أسماء مختلفة وكلهم مكان الركوب الكوبري في الساعة واحدة ظهرًا تمامًا.

-لازم كل حاجة تكون مظبوطة تمامًا الوقت مهم جدًا. تحدث حسين. إحنا هاندخل المتحف الساعه ١٠ صباحًا بالظبط مع الزوار. يوسف إنذار الحريق هاينطلق في المتحف الساعه ١١ صباحًا. كلنا هانخرج من المتحف وننتظر في مكان التجمع للحريق المفروض خلال ساعة يتم إعادة فتح المتحف بعد اكتشاف إنَّه انذار كاذب. الساعه ١٢ ندخل المتحف ثاني مرة ونتوجه مباشرة إلى غرفة عرض نفرتيتي الساعة واحدة بالضبط. . . دكتوره مها هاتخرج قنابل الدخان ونفتحها في القاعة. يوسف هاتشغل جهاز إنذار الحريق مره ثانية معاه كل أجهزة الإنذار الموجودة في المتحف. . . هانلبس أقنعة الرؤية الليلية وباستخدام مسدس الليزر نكسر الزجاج المحاط بتمثال نفرتيتي والتمثال يتحط على في الشنطة اللي حوالين بطن مها ونخرج بسرعة من المتحف بس المرة دي مش على منطقة تجمع الحريق هانتحرك بسرعة على شارع بوديستراب. . . العربية هتكون مستنيانا بالسواق ونتحرك بسرعة نخرج من جزيرة المتحف للفندق.

قام يوسف بإحضار أدوات التنكر. غريب ما قد يفعله شعر مستعار مع بعض المكياج في وجه الشخص. اِستعد الجميع

وانطلق يوسف إلى فندقه في جزيرة المتاحف.
-أنا خايفة جدا. نظرت مها إلى حسين.
-وأنا كمان. أجاب حسين بينما وضع صندوق العين في خزانة غرفة سيد بالفندق.
-وبدون حديث توجه الجميع إلى السيارة في اتجاه متحف برلين الجديد.
على باب المتحف وقف حسين يدفع الكرسي المتحرك والذي جلست عليه مها مدعية الحمل وعدم القدرة على الحركة بينما وقف سيد بعيدًا عنهم في الطابور منتظرًا افتتاح المتحف. نجحت الخطة وبدأ توافد طلاب المدارس في مجموعات مميزة بزيهم الموحد فوجئ أفراد المتحف بالإقبال الكبير الغير معتاد في يوم في منتصف الأسبوع وطالبوا بعدد أكبر من الحراس للمساعدة في تفتيش الزوار.
أشار أحد الحراس إلى حسين بالتقدم وأنَّهم لا يحتاجون الانتظار في الطابور. . . دفع حسين كرسي مها وتوجه ناحية الحارس والذي قام من بعيد بعمل سكان لحسين، ومها بدون مرورها على جهاز كشف المعادن. دفع حسين الكرسي وتوجه مباشرة إلى قاعة نفرتيتي فقد أراد أن يحظي بوقت مع تمثال جميلة الجميلات.
وقف حسين ومها مبهوريين بجمال التمثال إنَّه بحق من أعظم القطع الفنية لسبب ما لا يساعك إلَّا أن تقع في حب نفرتيتي من

النظرة الأولى وعلى الرغم من أن التمثال يفتقد لعين نفرتيتي اليسرى إلَّا إنَّها آية في الجمال الآخاذ . لم يلاحظ حسين ومها اقتراب سيد منهم ومن التمثال لحظات قصيرة وبدأ صوت إنذار الحريق يدوي في المتحف.

حالة من الهرج الكل يتحرك بسرعة كبيرة إلى مخارج الطوارئ وأبواب المتحف كل من المتحف يرتدون السترات العاكسة الآن ويرشدون الزوار إلى أقرب مخارج الطوارئ بينما في خلال دقائق قليلة استطاع حسين أن يستمع إلى صفارات الإنذار الخاصة بسيارات المطافئ والشرطة في طريقها للمتحف.

خمس دقائق فقط وقام يوسف بإطفاء جهاز الإنذار وقبل وصول عربات المطافئ والشرطة إلى المتحف. هدوء كامل الآن. وقف الحراس في حيرة من أمرهم بينما وقف جميع الزوار في أماكنهم انتظارًا لسماح لهم بالدخول مرة أخرى.

نصف ساعة قامت الشرطة والمطافئ بتمشيط المتحف. . . لا يوجد شيء إنذار خاطئ وتم الاتصال بشركة الصيانة لاكتشاف العطل. . . الجميع يعود الآن إلى المتحف ببطئ، وتحركت سيارات الشرطة والمطافئ بعيدًا عن المتحف بعد فترة.

دخل حسين ومها إلى المتحف مرة أخرى. لا يمكن أن أتخيل كم المعروضات المصرية في المتحف والتي سرقت من مصر. قد لا أمانع عرضها في أوروبا ولكن مصر لا تستفيد منه بالمرة سرقة

تاريخية والمسروقات تعرض في أكبر متاحف العالم. قطع تفكير حسين حديث مها.
-الساعه ١٢:٣٠ الوقت قرب:
نظر حسين إلى الساعة وإلى سيد في الجهة المقابلة من التمثال وأشار إليه أن يقترب منهم الآن. الواحدة تمامًا أطلق يوسف جهاز الإنذار مرة أخرى. هذه المرة أطلق يوسف جميع صفارات الإنذار في المتحف الصوت أعلى بكثير هذه المرة.
أخرجت مها الحقيبة الموجودة حول خصرها وعطت حسين وسيد قنابل الدخان فتح حسين القنبلة الأولى وألقاها في منتصف الغرفة بسرعه وبدأ الدخان في التصاعد مع صياحات الأطفال في المتحف ألقى سيد ثلاث قنابل أخرى في نفس الغرفة. خمس قنابل دخان كانت كافية أن تغطي القاعة سحابة كثيفة من الدخان تحجب الرؤيا. وضع حسين وسيد ومها أقنعة الرؤية الليلية وتوجه حسين بمسدس الليزر إلى الزجاج المحيط برأس نفرتيتي.
لا نتيجه. . .
لا يستطيع كسر الزجاج. . .

***

يوزف مينغله:
لم أجد في التاريخ المعاصر أو القديم مثل يوزف مينغله. . .
تحدث ليفي إلى عهد وقد بدأت دموع تتساقط من عينيه. . .

يفترض التاريخ أن هتلر كان أسوأ من أنجبت ألمانيا. . . ولكنه كان ملاكًا بالمقارنة بيوزف مينغله. ملاك الموت هو الاسم الذي أطلقه عليه السجناء ولكنه شيطان وليس ملاك.

لم يكن فقط المسؤل عن اختيار من يتم إعدامه في غرف الغاز بل كان هو من اِخترع غرف الغاز والإعدام بالحقن وكان يتفنن في اختبار مركبات وسموم جديدة على المساجين. الغريب أنَّه طبيب تخلى عن كل مشاعر الرحمة والإنسانية وتحول إلى وحش كاسر بلا قلب يقوم بتجاربه على البشر الأحياء بدعم كامل من الحكومة النازية.

إثبات أن الجنس الأري هو الأعلى كان هذا هو مبرر يوزف أمام هتلر لعمل تجارب على البشر. استقبلني بعد أن نجوت من غرفة الغاز بسبب عطل ما وقرر أنِّي من الممكن أن أكون جزء من تجاربه المستمرة.

تمَّ إدخالي إلى جزء مختلف من المعسكر، المساجين يرتدون ملابس مختلفة وعنابر النوم أنظف بكثير. والعديد من الأطفال أغلبهم توائم بعضهم يحمل حلويات في يديه. لم أفهم في البداية هل ابتسم لي الحظ أخيراً فمنذ لحظات كنت في طابور الإعدام بغرف الغاز والآن أنا في الجناح الفندقي من معسكرات الاعتقال.

ساعات طويلة قضاها يوزف ومساعديه في فحص جسدي بدون أي سؤال مسبق عينات من الدم ومن الشعر بصورة يومية. . .

قرر يوزف أنِّي أصلح للعمل في المستشفي وتمَّ إسناد عمليات التنظيف لي مع شابين آخرين من اليهود في نفس سني ممن نجو من غرف الغاز.

قد أصف لكي الآن ما لا يمكن أن تتخيله. ما لا يصدقه عقل ولكنه الحقيقة. كان يوزف مهتمًا بالوراثة والتجارب الوراثية ولكن على البشر. قرر أن يدرس تغير لون العين بحقن المرضى بمواد كيميائية في أعينهم لملاحظة كيف يتغير اللون؟ أو بإزالة العين تمامًا لفحصها أو إرسالها لبرلين. قرر في يوم من الأيام أن يقوم بخياطة تؤامين ظهرًا لظهر لمعرفة كيف يعيش التؤام الملتصق؟

عمليات النظافة كانت في أغلب الأحيان رفع الجثث من المعمل. كانت الأوامر أن المرضى يتاح لهم أسبوعان فقط للتعافي وإلا يتم إرسالهم إلى غرفه الغاز. في يوم من الأيام حضر غاضبًا وطلب جمع أكثر من خمسين من الأفراد الموجودين في المعسكر وحقنهم جميعًا بكلوروفورم في قلوبهم لقياس نسبه النجاة!!! لم ينجُ أحد. كتب في تقريره.

في اليوم التالي قرر أن تجربته الجديدة ستكون كيف يعيش البشر من غير أطراف ؟ قابلني يومها مبتسمًا وقال أنه وجد علاج لقدمي المصابة. وكان العلاج هو بتر قدمي تمامًا. . . بدون اي سبب قرر أن يقوم ببتر قدمي ولم أكن الوحيد فقد قرر يومها أن يقوم ببتر أطراف أكثر من ٢٠ شخصًا في المعسكر ما بين أيدي وأرجل!!!

-أرجوك ان تتوقف سيد ليفي. . . أنا لا أريد أن أستمع إلى المزيد.
قالت عهد مقاطعة العجوز والذي كان قد رفع رجل السروال الخاص به ليريها قدمه المبتورة.
-ولكنك سألت عن سبب وجودك هنا؟
-ولكني لم أفهم حتَّى الآن سبب وجودي هنا؟
يوزف مينغله هو سبب وجودك هنا. . . فأنا أبحث عنه منذ زمن.

***

الوقت يمر:
حاول حسين مرة أخرى اختراق الزجاج ولكن لم يستطع. . . نظر إلى سيد ومها. . . مفيش فايدة. . . الليزر أضعف الزجاج و أظهر به شقوق ولكن لم يكسره
بدون تفكير قام سيد بحمل الكرسي المتحرك الخاص بمها وقام بتهشبم الزجاج تمامًا، وتوجه إلى التمثال ورفعه بحرص من قاعدته وأعطاه إلى مها.
للحظات لم تصدق أن بين يديها الآن رأس نفرتيتي والتي حاربت مصر من أجلها لسنوات طويله أنَّها الآن تحمل تمثال جميلة الجميلات.
بسرعة وضعت التمثال في الحقيبة وقامت بوضعها حول خصرها مرة أخرى، وجلست على الكرسي المتحرك. قام حسين بدفعها

نحو مخرج الطوارئ بسرعة كبيرة.
العربيات في مكانها والكوبري مقفول وعربيات الإطفاء اِتحركت.
لازم تخرجو حالًا، تحدث يوسف عبر اللاسلكي.
تحرك حسين ومها وخلفهم سيد خارج أبواب المتحف والذي تحول إلى فوضى عارمة من أطفال ورجال ونساء يجرون في كل مكان ففي هذه المرة يستطيعون رؤيه الدخان. بعيدًا عن مناطق الانتظار إلا أن تحرك حسين ومها ناحية السيارة المنتظرة في شارع بودستراب وتبعهم سيد قافزًا بجوار السائق، والذي تحرك بسرعة تاركًا جزيرة المتاحف خلفه، والتي تحولت إلى خلية نحل من أصوات سيارات الإسعاف والمطافي والبوليس متوجهًا إلى الفندق.
نزل حسين ومها وسيد إلى الفندق وتوجه الجميع لغرفة سيد وتبعهم بعد فترة قصيرة يوسف بعد أن تأكد من أن كاميرات المراقبة داخل المتحف قد تمَّ مسحها جميعًا ولم تسجل سرقة التمثال.
بحذر شديد أخرجت مها التمثال من الحقيبة ووضعته على الطاولة أمامهم وجلسوا جميعًا في صمت ينظرون بانبهار إلى التمثال. لا يمكن وصف جمال وجه نفرتيتي. قام حسين وأخرج الصندوق الذي يحتوي على العين اليسرى لنفرتيتي. قامت مها وأخذت العين من حسين أرجوك أن تسمح لي. . . بالطبع أجاب حسين.

بحرص شديد وضعت مها قفاز وأمسكت بالعين وقامت بمحاولة وضعها في تجويف العين. . . الوضع مثالي لقد ثبتت العين بمثالية مطلقة. . . لقد اكتمل جمال نفرتيتي. . .

-ماذا الآن؟ سأل سيد.

-نظر حسين إلى القطعة الخشبية.

أنِّي أنا العنقاء.
حافظة سر الكائنات إليَّ توجد والتي سوف تكون.
أنا الأبدية واللامنتهى، أنا عابرة ملايين السنين.
الجميلة قد أتت، وعندما اِكتمل جمالها.
نظرت إلى أتون، وأنشدت تعويذة الخلود.

محتاجين شمس. . . قالت مها.

نظر حسين إلى التمثال. . . فعلًا وعندما اكتمل جمالها نظرت إلى أتون. . . نظرت إلى إله الشمس. . . التمثال لازم يكون مواجه للشمس.

-مواجه للشمس إيه؟ صاح يوسف إنتم عايزنا نتسجن. التمثال مش هاينفع يخرج في أي مكان ألمانيا كلها مقلوبة. . . الأخبار بتقول في سرقة حصلت في المتحف بس لسه ماقلوش إيه. إحنا لازم نسيب برلين وبسرعة. . . والأهم لازم نتخلص من التهمة

دي. . .
-ضوء إحنا بس محتاجين ضوء. قال حسين أي ضوء موجه لوجه التمثال هايقوم بنفس دور الشمس.
توجه سيد بسرعة وقام بإحضار جميع الأبجورات الموجودة بالغرفة، ووضعها أمام وجه نفرتيتي وقام بإضائتهم جميعًا. . .
لا شيء. . .
اقتربت مها مع حسين من التمثال، وحاول حسين تقريب الضوء أكثر على وجه نفرتيتي. . . يمكنني رؤيه شيئًا ما. . . أريد أي ورقة سوداء.
بحث سيد ويوسف في الغرفة ووجدوا غلاف أسود لأحد المجلات.
قام حسين بوضع الغلاف في زاوية من الوجه وبدأت تظهر بعض الكتابات باللغة المصرية القديمة. . .
حرك حسين الغلاف بجوار العين اليسرى. . . تظهر الآن واضحة التقاء العين مع الضوء نشئ عنه اِنعكاسا لبعض رسومات اللغة المصرية القديمة والتي من الواضح أنَّها حفرت بدقة متناهية في مؤخرة الحجر المكون للعين. والآن العين تعمل كعدسة مكبرة لعرض الرسومات بصورة أوضح عند تعرضها للضوء.
-لم يتوقف قدماء المصريين عن إبهارنا حتَّى بعد آلاف السنين من اختفائهم. . . تحدثت مها وأخرجت ورقة وقلم وبدأت في نقل الرسومات الفرعونية من على الغلاف الذي يحمله حسين.

الرسومات قليلة. . . حاول حسين تحريك الغلاف يسارًا ويمينًا حول التمثال. . . لا يوجد المزيد من الرسومات. دي كل الرسومات الموجودة تحدثت مها إلى كل ما رسمته على أوراقها الخاصة.
جلس حسين ومها ينظرون إلى النقوش الفرعونية بينما جلس يوسف وسيد من بعيد يتابعونهم منبهرين بقدرة القدماء المصريين على النحت وإخفاء أسرارهم.
مها تكتب الآن بعض الكلمات مع حسين:

أنا الروح الميتة في الجسد الحي.
أنا من أرهقها الجمال.
أنا من أرهقها الخلود.
اليوم أَغتسل في بئر الأمنيات من مرض الخلود.

***

يعني إيه لسه بتدور عليه؟
وإيه علاقتي بمجرم حرب نازي؟ سألت عهد.
بعد خسارة ألمانيا في الحرب دخل الجنود الإنجليز المعتقل، وطبعًا كنت في حالة يرثى لها تم نقلي مع بعض المصابين لمستشفى في لندن للتأهيل والعلاج. . . وكل ما كنت أفكر فيه هو الانتقام.
بعد شهر من العلاج أخرجني الإنجليز لشوارع لندن وخيروني ما

بين البقاء في إنجلترا أو العودة إلى ألمانيا. . . لم يعد لي مكان في ألمانيا فقد قتل الألمان كل من أحب ولا أستطيع العيش هناك بعد الآن.

خرجت إلى شوارع لندن أعطاني الجيش جنيه اِسترليني واحد وعكاز. . . هذا كل ما ملكت. . . عقيم برجل واحدة في شوارع لندن. . . نائمًا في إحدى الحدائق من التعب نظرت إلى أعلى مبنى في العاصمة في ذلك الوقت. . . وقررت أن امتلك المبنى في يومًا من الأيام. . . على الانتقام أن يتنظر حتَّى امتلك من المال ما يكفي للإنفاق عليه.

بدأت في الشارع بتجميع مخلفات وبيعها رحلة طويلة حتَّى وصلت لما ترينه الآن. . . أنا من أغنى أغنياء العالم وليس إنجلترا فقط. . . اِسمع من حولي يتهامسون (يهودي) وأضحك فهي الحقيقه فأنا يهودي.

منذ حوالي فترة قمت بتأسيس منظمة تحت اسم (صائدي النازيين). . . تعاونت مع كل من يمكن أن تتخيله حتَّى أصل إليهم جميعًا كل من هربوا من ألمانيا أمَّا أن أكون ساعدت في القبض عليهم وإعدامهم أو حتَّى اغتيالهم مباشرة في مهربهم.

وصلت لهم جميعًا إلَّا يوزف مينغيله. . .

-وحضرتك ليه متأكد إنَّه لسه عايش حتَّى الآن؟ دي فتره طويلة جدا وأكيد مات.

-كل اللي اشتغلوا معايا قالوا نفس الكلام. . . حتَّى إن الموساد أعلن موته رسميًّا في البرازيل تحت اسم مستعار وتوقفت عمليات البحث عنه. . . لحد ما لقيت المذكرات بتعته ودي غيرت كل حاجة.

في ٢٠١٠ اشتريت المذكرات الشخصية ليوزف مينغليه من الأرجنتين من فرد من أفراد عائلته بمبلغ كبير جدًا بسرية كاملة، وبشرط عدم اِطلاع أي حد على المذكرات دي. . . في البداية كنت عايز أعرف إزاي شخص بالوحشية دي كان شايف نفسه في عينيه؟ كيف ممكن أن ينام؟ كيف ينظر إلى وجهه كل يوم؟ ولكن عندما بدأت في القراءة تغير كل شيء.

يوزف مينغليه تواجد في اليونان عام ١٩٦٠ وفي القاهرة ١٩٦١ وفي أسبانيا ١٩٧١ وفي البارجواي ١٩٧٨. . . التاريخ ده على الأقل ست سنوات بعد إعلان وفاته. . . من مذكرات يوزف اكتشفت أنَّه كان بيدور على حاجة ثانية من أبحاثة وأن هدفه الأساسي لم يكن إثبات أن الجنس الأري هو الأسمى أو الأعظم في الحقيقة لم يهتم كثير بالجنس الأري بل في المذكرات أشار أنه قام ببعض التجارب البشرية على بعض الجنود الألمان المصابيين في الحرب.

-كان بيدور على إيه؟ سألت عهد.

-يوزف مينغيليه كان يبحث عن الخلود. . .

***

٥٠ ساعة :

أنا الروح الميتة في الجسد الحي.
أنا من أرهقها الجمال.
أنا من أرهقها الخلود.
اليوم أغتسل في بئر الأمنيات من مرض الخلود.

أنا زهقت من الألغاز. . . تحدث سيد. . . خلاص يا حسين الموضوع مش ممتع ومش كنز هندور عليه أنا عايز عهد ومعنديش استعداد أنِّي استنى أكثر من كده وأضيع وقت. . .
نظر إلى يوسف. أنا فهمت أن تعقب الفيديو صعب بس هل ممكن نتصل بيهم؟
-أحاول. . . جلس يوسف مع الهاتف قليلًا وقام بتوصيله على الاب توب الخاص به، وبعد دقائق بدأ الهاتف بتفعيل اتصال. . .
التف الجميع حول يوسف.
-أستاذ سيد. . . لقد كنت بانتظار مكالمتك. . . بلغة إنجليزية بلكنة بريطانية مميزة أجاب الهاتف.
واضح أنَّك تترك أثرًا مميزًا في كل مكان تزوره. . . لقد أصبحت برلين خلية نحل بسببك على ما أعتقد؟
نظر حسين إلى الجميع. . . أنَّهم يعلمون أننا في ألمانيا. . .

-تحدث سيد. . . أنا أريد زوجتي. أنا غير مهتم بألعابك بعد الآن. . . فقط أخبرني كم تريد؟ أو ماذا تريد؟ أنا من الأغنياء ويمكنني توفير أي مبلغ تريده بسرعة كبيرة. . . فقط اِرجع لي زوجتي.
-قد لا تكون الأموال ما أهتم به سيدي. . . فأنا أبحث عن شيء أكثر قيمة من المال. . . في الحقيقة ما أبحث عنه لا يقدر بمال؟ وأعتقد أنكم قد عرفتم بالفعل ما أبحث عنه. . . ففي النهايه لقد قمتم بسرقة واحد من أكبر وأهم متاحف العالم من أجلي.
-التمثال معنا. . . يمكنك الحصول عليه. . . فقط أخبرنا أين أنت؟
-أنا لا أريد التمثال. . . فقد ملكناه من قبل. . . أنا أريد ما يقودك إليه التمثال. . . وعليك أن تسرع سيدي فالوقت يمر.
-أريد أنا أرى زوجتي. وإلَّا ستتوقف العملية ولن تحصل على ما تريد. أريد أن أرى زوجتي الآن.
تحولت الشاشة من اللون الأسود والعداد إلى غرفة عهد حيث جلست عهد بجوار النافذة وهي تمسك في يديها ورقة تنظر إليها. . . ثواني معدودة وتحولت الشاشة إلى العداد الأسود مرة أخرى. . . وتحدث الصوت من الجهه الأخرى. . . بالطبع سيدي يمكنك رؤية زوجتك وأنا أوؤكد لك أنَّه تتم معاملتها بصورة رائعة، وكل طلباتها مجابة فنحن نحسن معاملة ضيوفنا سيدي. وأود أن أذكرك سيدي الوقت يمر والآن. . . باقي يومان؟

-عم الصمت لبرهة في المكان. . .
- يوسف إنت سجلت المكالمة؟ سأل حسين.
-آه أجاب يوسف.
-ممكن نقرب الصورة على عهد ونعرف الورقة اللي معاها فيها إيه؟ دي ممكن تكون دليل على مكانها أو يكون فيها تاريخ نتأكد أن الصورة حقيقية.
-بسرعه على الاب توب الخاص به جلس يوسف يحاول تقريب وتحسين الصورة على قدر المستطاع. يمكن فقط قرأه العنوان حيث الورقة قديمة. . . بالفعل يوجد عليها تاريخ ١٩٣٥. . . اللغه ليست إنجليزية. . . ببحث سريع استطاع الجميع رؤية الورقة في يد عهد.
قوانين نورمبرغ :١٩٣٥
وثيقه نومبرغ؟ وعهد ماسكة الوثيقة دي ليه؟ سأل حسين.
-مش فاهم إيه دي يعني؟ سأل سيد.
-وثيقة ألمانية للحفاظ على الدم والجنس الألماني من قبل الحرب العالمية الثانية أصدرها هتلر ملخصها أن الألمان لا يجوز لهم الزواج أو الارتباط باليهود والزنوج والمعاقيين وتهدف لتطهير العرق الألماني من كل الشوائب. يعني وثيقة عنصرية بحتة. أجاب حسين.
-وتفتكر إيه ممكن تكون علاقة اللي خاطف عهد بالوثيقه دي؟

-مش عارف في الحقيقة. . . أما يكون ألماني نازي أو يهودي؟ مفيش احتمال ثاني.

-وإيه علاقه ده بتمثال نفرتيتي؟ سأل يوسف.

-مش عارف جلس حسين يفكر.

-في علاقه أكيد. . . تحدثت مها.

أنا تقريبًا عرفت مين خطف عهد.

***

مجرم حرب ألماني في القاهرة:

تعجبت عهد إيه ممكن يخلي مجرم حرب ألماني يزور القاهرة في الفتره دي؟ وكان بيعمل إيه في مصر؟

-البحث عن الخلود لازم يأخدك لمصر سيدتي. إن كان في تاريخ البشرية من استطاع أن يصل إلى الخلود فهم قدماء المصريين لا يوجد من تمكن من جميع أنواع العلوم مثلهم على مدار التاريخ. بالإضافة إلى كل ما تحدث عنهم التاريخ أنهم استطاعوا الخلود كانوا في مصر.

-لقد درست التاريخ جيدًا سيد ليفي ولا أعتقد أن هناك خالدون في التاريخ. الكل يموت في النهاية.

-ماذا عن نفرتيتي والإسكندر الأكبر؟

-ماذا عنهم سيد ليفي؟

-على الرغم أنَّهم من مشاهير التاريخ لم يتم العثور على قبورهم

حتَّى الآن. . . تم العثور على كل عائلة نفرتيتي الزوج والأبناء والأحفاد. . . ولم يتم العثور عليها. . . قبر الإسكندر الأكبر المرصع بالذهب. . . جثة واحد من أكبر القادة في تاريخ البشرية والذي ملك نصف الأرض ولم يتمكن أحد من الوصول إلى جثته حتَّى الآن. التاريخ يقول أن الإسكندر عندما ذهب إلى مصر توجه لأحد المعابد وهناك أطلق عليه (ذو القرنين) ووعده كهنة المعبد بالخلود، وهو ما شجعه لغزو بلاد فارس فقد كان يعلم أنَّه لا يموت ولم يهزم في معركة.

-هل تعني أن يوزف مينغيله ذهب إلى مصر للبحث عن قبر الإسكندر الأكبر أو نفرتيتي؟

-لا ذهب إلى مصر لشراء مذكرات السيد جاستون ماسبيرو. . في الحقيقة الدليل الذي تركته في منزلك كان من مذكرات مينغيله، وحصل عليه من مذكرات ماسبيرو. مذكرات ماسبيرو كانت بتمثل آخر ما يبحث عنه مينغيله. . . تركيبة الخلود. تركيبة كيميائية اِخترعها قدماء المصريين يعتقد أن من يتناولها يحصل على الخلود.

-لا يوجد ما يسمى بالخلود سيد ليفي من الواضح أنَّك قد قمت بخلط التاريخ مع الخيال العلمي.

-السبب الرئيسي للموت بصورة طبيعية على الأقل هو أن خلايا جسم الإنسان تصاب بالعجز كما هي حالتي الآن فأنا فوق التسعين

من عمري وخلايا جسدي لا تستطيع أن تعمل كما كانت تعمل وأنا في العشرين أو الثلاثون من عمري. فإذا استطعت بصورة ما أنا أحافظ على شباب وحيوية خلايا الجسم فمن المفترض علميًّا أن الجسد لن يموت. . . قدماء المصريين لم يخترعوا ترياق يحمي الإنسان من القتل بل اخترعوا ترياقًا للشباب الدائم.

-أَلَا تعتقد أنَّك قد تأخرت قليلًا سيد ليفي في البحث عن الشباب الدائم؟

-ضحك ببطئ نعم سيدتي أنتِ على حق فالوقت تأخر قليلًا على الشباب الدائم. وإن كنت لا أرغبه بأي حال من الأحوال فقد اكتفيت من العالم وما فيه من ظلم. أنا فقط أبحث عن مينغليه وأريد أن أعرف هل هناك فعلًا وصفة للشباب الدائم يمكن العثور عليها. فلتعتبريها آخر رغبات شخص يريد الموت.

أريد أن أحصل على نهايتي. وأريدك أن تساعديني في ذلك.

لا يمكن أن أموت ومينغيله على قيد الحياة. . . فهو ما أعيش من أجله.

***

٤٦ ساعة:

إنت عارفه مين خطف عهد؟ سأل سيد.

-تقريبًا. . . أجابت مها. . . هو في الحقيقة ساعدنا من خلال مكالمة التليفون وصوره عهد مع الوثيقة.

-إزاي؟
-رأس نفرتيتي كانت في الأصل ملك لرجل أعمال يهودي من ألمانيا هو اللي قام بدعم الحفريات في تل العمارنة (هنري جايمس سايمون) من أغنى يهود ألمانيا واللي المفروض أنَّه تبرع برأس نفرتيتي لمتحف ألمانيا.
-المفروض؟
-الحقيقة إن في بعض الروايات بتقول إنَّه تم فرض موضوع التبرع عليه، وأن الحقيقة إنَّه تم إرغامه على التبرع مكامل مجموعته الأثرية للمتحف في مقابل بقائه بأمان في ألمانيا.
-وإيه علاقة الشخص ده بعهد؟
-هو قال في المكالمه أن التمثال كان عنده قبل كده. . . يعني ممكن يكون اللي خطف عهد من عائلة هنري جايمس سايمون. والوثيقة اللي في إيد عهد هي وثيقة ظلم اليهود في ألمانيا. . . ودي وثيقة بيعتز بيها اليهود جدًا ومعتبرينها رمز للظلم والعنصرية في فترة الحكم النازي.
على الاب توب الخاص به جلس يوسف يبحث عن الاسم هنري جايمس سايمون. . . لحظات قليله هنري جايمس مات قبل الحرب العالمية وله ابن واحد لا يزال على قيد الحياة. . .
ليفي هنري جايمس ملياردير إنجليزي.
-إنجليزي؟ مش المفروض هو ألماني؟ سأل سيد.

ليفي هنري جايمس ملياردير كون ثروته بنفسه بعد إن صادرت ألمانيا النازية كل ممتلكات والده. هو في الحقيقه بدأ من الصفر في إنجلترا وأصبح من أكبر تجار النسيج والأقمشة. . . الغريب إنَّه كان نفس مجال أبوه في ألمانيا. . . ليفي اختفى من الساحة العامة من حوالي ١٠ سنين حتَّى في مقالات بتقول إنَّه ممكن يكون مات. محدش يعرف مكانه وهو لم يتزوج وليس له أي أولاد. . . كل المواقع اللي بتتكلم عنه بيسألوا نفس السؤال تقريبا. . . من سيرث كل أموال ليفي هنري جايمس؟ والسؤال الأهم أين هو؟

-ملياردير يهودي. . . ممكن يخطف عهد ليه؟

-زي ما قال لينا في المكالمة هو عايز اللي بيودي ليه تمثال نفرتيتي. . . اللي كل الناس عايزاه تقريبًا. . . سر الخلود. . . أجاب حسين.

ليفي هنري جايمس آخر عنوان موجود ليه في منطقة ريفية شمال إنجلترا. . . قصر كبير منعزل عن العالم تقريبًا وهو اشترى كل الأراضي اللي حوله. . . وفي اِحتمال ده المكان اللي يكون موجود فيه. . . أشار يوسف إلى الشاشه وعليها صورة للقصر الكبير في ريف إنجلترا.

باقي أقل من يومين. . . إحنا لازم نسافر إنجلترا فورًا. . . تحدث سيد.

سيد دي مخاطرة كبيرة إفرض مكنش موجود هناك؟ أو مطلعش

هو اللي خاطف عهد. . . إحنا قدمنا دليل من تمثال نفرتيتي وممكن نمشي وراه. أجاب حسين.

-بمناسبه التمثال. . . . ألمانيا مقلوبة والجيش الألماني في الشارع عامل كمائن في كل الشوارع وتم إغلاق كل المطارات والمواني. . . كل حاجة بتتفتش وبدقة. . . ألمانيا أعلنت حاله الطوارئ في برلين. . . أيًّا كان اللي هنعمله لازم يكون بسرعة. . . والتمثال ده لازم نتخلص منه وبسرعة. . . تحدث يوسف.

-أنا شايفة إن إحنا نأخد وقت بسيط نرجع تاني للنص اللي موجود على التمثال ونقرر بهدوء التصرف بسرعة ممكن يخسرنا حاجات كتير. . .

أنا مع مها وأمسك حسين بالورقة المكتوبة وقربها من مها وبدأ في القراءة بصوت عالي:

أنا الروح الميتة في الجسد الحي.
أنا من أرهقها الجمال.
أنا من أرهقها الخلود.
اليوم أغتسل في بئر الأمنيات من مرض الخلود.

-تفتكر معنى الكلام أن نفرتيتي فعلًا كانت خالدة؟ سألت مها.

-ده فعلًا معنى الكلام وواضح إن موضوع الخلود كان مقتصرًا

عليها وأنَّها لم تكن سعيدة بالخلود وربما قررت إنهاء حياتها.
-مفهوم الخلود وإنهاء حياتها ممكن يكونوا متعارضين فكيف تكون خالدة وتنهي حياتها؟
-مش قادر أفسر بس المهم إن المكان الوحيد المذكور في النص واللي ممكن يكون وجهتنا الثانية هو بئر الأمنيات. ممكن تفكري في مكان في مصر فيه بئر الأمنيات؟
فكرت مها قليلًا. . . مكان واحد بس في مصر بيجمع كلمة الأمنيات مع الخلود. . .
معبد الوحي. . .
-يجب أن نغادر ألمانيا فورًا.
ورد الاتصال من قائد الطائرة، سيدي المطار سيتم إغلاقه خلال ٥ ساعات وقد أخذت الإذن بالإقلاع يجب أن تكون عند السور في المساء حتى أستطيع تهريبكم إلى الطائرة والتوجه إلى جورجيا. . لا يمكن الانتظار أكثر من ذلك.
-هنعمل إيه في التمثال؟؟ سأل يوسف الطرق كلها مقفولة بالجيش يستحيل نوصل بيه للطيارة.
توجه حسين إلى الغرفة وأخرج منها صندوق خشبي صغير معباء بالقش والقطن وضع التمثال برفق وقام بتغطية التمثال بالقطن والقش وأغلق الصندوق. هنتحرك فورًا على السفارة المصرية في برلين. المسافة من الفندق مش كبيرة والكمائن كلها خارج برلين

لأنهم متوقعين التمثال يخرج من برلين.
ابتسمت مها فهي كانت في غاية القلق عمَّا سيحدث للتمثال.
هتسلم التمثال للسفارة؟
سرقه ما سرق من مصر استعاده حق.

***

السفاره المصرية ببرلين:
-سيدي السفير وصل صندوق على باب السفارة.
-وإيه المشكله مش فاهم؟ أجاب السفير.
-سيدي الصندوق كتب عليه عناية الدكتور زاهي حواس.
-نظر السفير إلى التليفزيون أمامه وإلى نشرات الأخبار وإعلان حالة الطوارئ في برلين. أنا عايز الصندوق في مكتبي حالًا وبحرص شديد. هل ممكن أن يكون ما أفكر به صحيحًا؟
أحضر موظفي السفاره الصندوق بحرص. على الغطاء الخشبي للصندوق كلمات قليلة باللغة العربية: -عناية الدكتور زاهي حواس- فقط لا يوجد شيء آخر.
بحرص فتح السفير الغطاء الخشبي بين القش والقطن ها هي رأس نفرتيتي أمامه. . . .
رأس نفرتيتي وصلت إلى السفارة المصرية بألمانيا. . . المكان الوحيد الذي لن يستطيع الألمان تفتيشه أو دخوله.
نظر حسين إلى مها وهم في السيارة مبتعدين عن السفارة وفي

الطريق إلى المطار. . .
الجميله في أمان الآن. . .

***

٤٠ ساعة :
في الطريق إلى المطار أكثر من نقطه تفتيش قاموا بتفتيش السيارة بالكامل أكثر من مرة تأخر الفريق في الخروج من برلين لعدة ساعات بعد إغلاق معظم الطرق الرئيسية.
-معبد الوحي؟ تحدث حسين إلى مها بجواره في السيارة. تفتكري أن نفرتيتي انتحرت في معبد الوحي؟
-الأسماء كثير لنفس المعبد فهو يسمى معبد الوحي، معبد التنبؤات أو معبد أمون. . . لو تفتكر إنَّه رغم صغر وعدم أهمية المعبد بالمقارنة بباقي معابد مصر الفرعونية القديمة هو ده المعبد الوحيد اللي زارة الإسكندر الأكبر لما دخل مصر. وهناك كهنة أمون أعطوه قناع ذو القرنين وقالوا له النبؤة المشهورة: -ستحكم العالم وتموت صغيرًا- أقنع كهنة أمون الإسكندر بأنه أصبح خالدًا. لم يهتم الإسكندر بباقي النبؤة، وخرج لجيشه وأخبرهم أنَّه سيغزوا بلاد فارس وأنَّه أصبح خالدًا لا يموت. الإسكندر لم يهزم في معركة واحدة في حياته حتَّى عندما واجه جيوش ثلاث أضعاف جيشه فقد أمن جميع المحيطون به أنَّه خالد لا يموت وهو ما أعطاهم قوة كبيرة في المعارك.

-ولكنه مات في النهاية؟ أجاب حسين.

-بالطبع لكن حتى موت الإسكندر لم يقل غرابه عن اختفاء نفرتيتي. فأولًا لا أحد يدري كيف مات الإسكندر. الأكيد أنَّه لم يقتل في معركة. . . بعض الروايات المؤكدة لموت الإسكندر أنَّه كان يتناول نوعًا معينًا من سموم النباتات إيمانا منه إنَّه خالد وأنَّها لن تؤثر عليه فقتلته في يوم من الأيام. . . ونظريات أخرى عن كيفية موته. أمَّا النظريات الأعجب هي أين ذهب تابوت الإسكندر؟ أين الجثة. كيف تختفي جثة واحد من أكبر القادة في التاريخ؟

-كلامك بيعني أن تعريف الخلود عند القدماء المصريين هو نفس التعريف العلمي للخلود في عصرنا الحالي. أن في كائنات ممكن تعيش للأبد في حالة عدم اصطيادها أو قتلها؟ يعني هي خالدة بس ممكن تموت؟ خلود يحافظ على خلايا الجسم من الموت بأسباب طبيعية فهو في الأوقع أكسير للشباب الدائم وليس لمحاربة الموت.

-معبد الوحي فيه البئر المقدسة. . . والتي أطلق عليها البعض بئر الأمنيات. . . هو ده المكان الوحيد اللي بيشير إليه النص اللي معانا.

-إحنا لازم نرجع مصر وبسرعة. . . تحدث حسين.

-وأنا لازم أروح إنجلترا أجاب سيد.

-سيد إحنا طول الوقت مع بعض ومش ممكن نفترق، الآن الدليل بيقود لمصر في سيوة وأنا خايف نروح إنجلترا ومانلاقيش عهد. . .
-وعلشان كده إحنا لازم ننفصل عن بعض. . . أجاب سيد. إنت والدكتوره مها أكثر اثنين هنا بتفهموا في التاريخ ولو في حد في العالم ممكن يحل ألغاز قدماء المصريين فهما إنتم، فأنتم الاثنين هاتروحوا مصر تحلو اللغز وتعرفوا الناس دي عايزين إيه؟ أنا ويوسف هانتحرك لإنجلترا ونحاول نلاقي عهد. أنا رتبت كل حاجة خلاص. . . الطيارة بتاعتي هتطلع من ألمانيا على جورجيا وهناك هتستلم إنت والدكتورة مها جوازتكم وحجز ليكم على أول طيارة على مصر. أانا ويوسف هنتحرك على مطار هيثرو من جورجيا. الموضوع لازم يتم بسرعة قائد الطائرة هايتحرك أول ما نكون عند السور وإحنا بالليل هنقف في نفس المكان اللي نزلنا فيه هو هيفتح الباب وينزل السلم وإحنا نتحرك بسرعة على الطيارة.
-إنت عارف أن عهد تهمني جدًا وأنا عايز أساعدك.
هاتساعدني أكثر وإنت في مصر.

***

أنا محتاج سلاح:
في الطائرة في الطريق إلى جورجيا جلس سيد بجوار يوسف أنا محتاج سلاح.

-سيد سلاح لا. . . إحنا عمرنا ما استخدمنا سلاح.
-عهد اتخطفت يا يوسف. . . وأنا هارجعها بأي ثمن . . .
عايز سلاح ونظرات حرارية ولو ممكن كمان جنود مرتزقة. . .
عايز ناس بخلفية عسكرية وهادفع أي مبلغ مطلوب.
-سيد. . . إحنا مش داخلين حرب؟
-اللي خطف عهد بدأ الحرب معايا خلاص.
بتردد قام يوسف بطلب أسلحة خفيفة في إنجلترا مع نظرات حرارية إحنا ممكن نروح نقيم الموقف أولًا، ونعرف عهد موجودة في البيت ولا لأ، ومن هناك ممكن نطلب البوليس وندخل بصورة قانونية بدون الحاجة لقتل أي حد. . . إحنا مش بنقتل.
-تفتكر ممكن نلاقي إيه في بئر الأمنيات؟ سألت مها والتي جلست بجوار حسين في الطائرة. هل تعتقد أن إحنا ممكن نلاقي تركيبة الشباب الدائم؟ سر جمال نفرتيتي. . . سر الخلود؟
-مش عارف. . . وأتمنى إنها تكون النهاية لأن مفيش وقت. . .
أنا خايف على عهد وخايف أكثر على سيد لأني عارف إنه ممكن يعمل أي حاجه علشان عهد ترجع. أنا بدور على الكنوز طول عمري بس المرة دي الوضع مختلف حياة أعز أصدقائي وزوجته مهددة بالخطر. . . لقد تحولت متعتي إلى خوف الآن .
نظرت مها إلى العين اليسري لنفرتيتي والتي أزالتها من التمثال قبل تسليمه للسفارة. . أعتقد أنَّها النهاية.

وصل الجميع إلى جورجيا في المطار انتظرهم مساعد سيد وأعطاهم الجوازات. . . حسين ومها إلى مصر مطار برج العرب حيث ستكون في انتظارهم سيارة لتأخذهم إلى سيوة. بينما يوسف وسيد فيزا لدخول إنجلترا وتصريح بهبوط الطائرة الخاصة في مطار هيثرو بلندن.

لم يتحدث أحد نظرات من القلق فقط قطعها سيد موجهًا كلامه إلى حسين. . . المرة الجاية اللي أشوفك فيها تكون معايا عهد. . . اِحتضن حسين سيد واتجه كلًا منهم إلى قارة مختلفة بحثًا عن الجميلة.

***

٢٦ ساعة :

لندن هيثرو. . .

تحرك سيد مع يوسف خارج المطار سريعًا وفي الطريق توقف يوسف في مكان صغير في أطراف لندن حيث قابل سيارة أخرى تنتظرهم في طريق فرعي. الروس يمكنهم أن يوفروا لك أي شيء في أي مكان تحدث يوسف إلى سيد ونزل من السيارة لمقابلة الروسي الضخم الجلس في سيارته في انتظارهم. بتردد شديد عاد يوسف للسيارة وأعطى سيد مسدس ٩ مل أخذه من الروسي بالإضافة إلى نظارات رؤيه ليلية حرارية تعمل على حرارة الجسد.

-إنت عارف إحنا هانعمل إيه صح؟ سأل يوسف.
-حاجة واحدة بس أنا عارفها. . . أنا مش راجع من غير عهد.
الطريق طويل وقبل البيت طلب يوسف من السائق أن يتوقف. لا يمكن أن ندخل بالسيارة أكثر من ذلك علينا أن نمشي من هنا وحتَّى البيت.
أحضر سيد السلاح وتأكد من وجود ذخيرة بالمسدس الخاص به، وحمل النظارات الليلية في يدية وتحرك مع يوسف في ظلام الليل ناحية القصر الموجود في وسط الأشجار.
القصر ضخم على الأقل به أكثر من ٢٠ غرفة للنوم غير غرف الخدم والقاعات المختلفة. اقترب سيد من الأشجار المحيطة بالقصر وقام بِارتداء نظارات الرؤية الليلية الحرارية. . .
-مفيش حد في القصر؟؟؟ تعجب سيد.
-يعني إيه مفيش حد؟ وضع يوسف نظارته، وقام بتفحص القصر. . . لا حراس ولا توجد أسلحة يستطيع أن يرى ٣ سيدات واحدة منهم في غرفة بالطابق العلوي ربما يجلس معها رجل على كرسي متحرك. في الغرفة الخارجية يوجد رجل واحد بينما في الطابق السفلي يوجد سيدتان من الواضح أنَّهم يعملون في المطبخ؟ مفيش حراس فعلًا. . . ممكن يكونوا في مكان ثاني إحنا محتاجين نتحرك حول الفيلا علشان نتأكد؟
-مفيش وقت وضع سيد المسدس في الجاكت الخاص به، وتحرك

ناحية القصر.
-إنت بتعمل إيه؟ صاح يوسف ولكن سيد لم يتوقف. . .
على باب القصر وقف سيد وقام بالطرق على الباب. بعد لحظات قامت سيدة كبيرة في السن بفتح الباب وبلغة إنجليزية سألت سيد. . . كيف أستطيع أن أساعدك سيدي؟
-أنا هنا لأقابل السيد ليفي هنري جايمس.
-هل يوجد ميعاد مسبق سيدي؟
- نظر سيد حوله، وقام بإخراج المسدس من الجاكيت الخاص به، ووجه إلى وجه السيدة الواقفة أمامه. . . نعم هناك موعد مسبق. . . وقد تمَّ تحديده الآن.
وقف يوسف في مكانه لا يدري ماذا يفعل فها هو يرى سيد يرفع مسدسه في وجه السيدة على باب البيت. . . قرر أن يتدخل بسرعة ودخل إلى المنزل خلف سيد.
-سيد إنت بتعمل إيه؟
-بجيب مراتي اِقفل الباب واِمشي ورايا.
-تحدث سيد إلى السيدة الآن تأخذيني إلى مكان السيد ليفي. . .
تحركت السيدة في خوف نحو السلالم المؤدية إلى الطابق العلوي وخلفها سيد مصوبًا السلاح ناحيتها وخلفهم يوسف أشد خوفًا.
في الطابق العلوي دخلت السيدة إلى غرفة يوجد بها شاب صغير في السن في غاية الأناقة. . . أشهر سيد المسدس في وجهه بينما

تحدث الشاب بلغة عربية فصحى.
-سيدي لا يوجد داعي لذلك.
-أريد زوجتي الآن.
-تحرك الرجل وفتح باب مؤدي إلى غرفة عهد.
سيد. . . جرت عهد سريعًا لأحضان سيد، والذي قام بحملها بين زراعية للحظات ثمَّ تركها جانبًا ووجه مسدسه نحو العجوز الجالس على الكرسي المتحرك.
لا سيد. . . ووقفت عهد بينه، وبين العجوز. . .

***

مصر:
وصلت الطائرة إلى مطار برج العرب خرج حسين مع الدكتورة مها من المطار، وفي انتظارهم سياره رباعية الدفع تحركت بهم مباشرة إلى واحة سيوة. . .
-أنا زرت معبد أمون في سيوة أكثر من مرة والحقيقه المعبد اِتدمر تقريبًا وأنا متأكدة أنَّه مش ممكن يكون فيه حاجة. تحدثت مها.
-أنا كمان زرت المكان قبل كده وعارف إن الغرفة السرية الوحيدة اللي تمَّ اكتشافها كانت في قدس الأقداس واللي تقريبا كان بيستخدمها الكهان لخداع الملوك وإيهامهم بأن الإله أمون يتحدث إليهم. بس مفيش حد دور في البئر. . .

-قصدك البئر المقدس؟

-هو ده البئر الوحيد الموجود في المعبد. . . اسمه البئر المقدس، أو بئر الأمنيات هو ده الحاجة الوحيدة الموجودة في النص، وهو ده المكان الوحيد اللي لازم ندور فيه. بس أنا محتاج مساعدتك في حاجة قبل ما نوصل سيوة.

-إيه ممكن أعمله ؟ تسألت مها.

-أنا محتاج المعبد يتقفل النهارده. . . مش هاينفع ندور في المعبد وفيه زوار أو أي حد بيبص علينا.

فكرت مها قليلًا. . . ثمَّ أخرجت هاتفها واتصلت بمدير المتحف. هو من أهل سيوة وأنا أثق به جيدًا ويمكن أن يساعدنا.

-أستاذ محمود أنا دكتورة مها سالم.

-طبعًا عارف حضرتك يا دكتورة أهلًا وسهلًا تحت أمرك.

-أنا في الطريق لسيوة ومعايا زميل هانقوم ببعض الأعمال في معبد أمون، وعايزة المعبد يتقفل اليوم على الأقل ٣ ساعات لحد ما نخلص الشغل بتاعنا.

-بس حضرتك أنا معنديش أي خبر من الوزارة بأي أعمال في المعبد.

-أنا آسفة دي غلطتي كان المفروض أبعت ليك الورق وأنا انشغلت باعتذر جدًا ويا ريت محدش في الوزارة يعرف إنِّي غلطت الغلطة دي.

-طبعاً طبعًا يا دكتورة أنا في انتظار حضرتك وهاقفل المعبد حالًا.
مع الصباح الباكر وصلت الدكتورة مها مع حسين إلى معبد أمون بسيوة، وفي انتظارهم وقف الأستاذ محمود مدير المتحف.
صباح الخير. . . ده الدكتور حسين المصري. . . آه طبعًا يا دكتورة عارف الدكتور حسين كويس جدًا. الدكتور حسين هايساعدني في بعض الحفريات في المعبد. توجه حسين مباشرة إلى البئر المقدسة, لا يوجد شيء البئر المقدسة خاوية، ولا يوجد بها قطرة ماء ويمكن رؤية المكان كله من فوق.
-هو حضرتك بتدور على إيه بالضبط يا دكتور؟ سأل محمود.
-أنا محتاج سلم خشب. أنزل بيه للبئر.
-نظر محمود إلى الدكتورة مها والتي أشارت إليه بالموافقة على طلبات حسين.
دقائق وأحضر محمود أحد السلالم الخشبية، وقام بمساعدة حسين بإنزاله إلى قاع البئر. بدأ حسين في النزول وتبعته مها، بينما طلبت من محمود الانتظار بأعلى لمساعدتهم في حال احتاجوا للمساعدة. المكان ضيق جدًا ولا يوجد ما نبحث عنه شعرت مها. بينما جلس حسين يتحسس الحجارة في قاع البئر ويحاول تحريكها.
دقائق قضاها حسين من محاولة تحريك الأحجار وتحسسها. جلس حسين على الأرض ينظر إلى الأحجار بينما وقفت مها

بجواره. . . على أحد الأحجار وجد حسين تجويف صغير أشار إلى مها إلى الحجر. . . جلست مها بجوار حسين وقامت بإزالة التراب، والرمال من حول التجويف الصغير. . . إنَّها عين. . . وليست عين حورس إنَّها عين تفتقد بؤبؤ العين؟

-نظر حسين إلى مها إنت معاك حجر عين نفرتيتي صح؟

أخرجت مها الحجر الأسود وقامت بوضعه في مكان بؤبؤ العين على الحجر الموجود في قاع البئر. . . حرك حسين الحجر قليلًا حتَّى التصق تمامًا في التجويف الصخري. . .

ثواني قليلة مرت، وحسين ينظر إلى الحجر ثمَّ بدأت الأحجار تتهاوى أمام عينيه تساقط الحجر ثمَّ تبعه الأحجار المحيطة به كقطع من الدومينو المرتبطة ببعضها. وانفتح أمامهم ممر مظلم. الفتحة دائرية قطرها متر ونصف تقريبًا ولا يستطيع أن يرى نهايتها. وقف محمود ينظر من أعلى في قلق مع التراب يتعالى من سقوط الأحجار.

-دكتوره مها. . . كل حاجة تمام؟

-أستاذ محمود. . . في غرفة سرية تحت البئر. . . ساعة لو مخرجناش ممكن تجيب ناس وتدخل ورانا. . . ساعه أستاذ محمود.

باستخدام هواتفهم المحمولة قام حسين ومها بإضاءة الطريق أمامهم. دخل حسين أولًا وتبعته مها. الممر ضيق ومكتوم لا

توجد به أَيَّة تهوية بالإضافة إلى عدم وجود أي رسومات أو نقوش فرعونية على الجوانب. الارتفاع لا يزيد عن متر ونصف واضطر حسين ومها إلى الزحف أغلب الوقت. حوالي ١٠٠ متر اِستمر حسين ومها في التقدم خلالها. بدأ الممر يتسع الآن يمكن لحسين أن يرى ما يشبه غرفة مبنية في نهاية الممر.
أشار حسين إلى مها أنَّه توجد غرفة في النهاية. . . وصل حسين إلى الغرفة وقفز من الممر إلى الغرفة وساعد مها في الهبوط. الغرفة مربعة حوالي ٣ متر في ٣ متر وهي مليئة بالنقوش الفرعونية، ولكن الأهم في آخر الغرفة رقد هناك تابوت. . . توجه حسين ومها إلى التابوت مباشرة أنَه أجمل تابوت من الممكن أن تراه عيناك.
وقفت مها وحسين لا يستطيعون الكلام في حرم جمال وروعة الفن المصري. . .   غطاء التابوت يمثل جسد نفرتيتي، ورأسها كاملًا من الذهب الملون. وجه نفرتيتي بتفاصيله الجميلة وتمَّ استخدام الألوان بدقة متناهية لوصف تفاصيل رقبتها الطويلة وعينها وتاجها المميز. . . أنَّها فعلًا جميلة الجميلات حتَّى في موتها.
-تفتكر دي مقبره نفرتيتي؟ سألت مها. . . إحنا ممكن نكون فعلًا لقينا الملكة المفقودة ده ممكن يكون أكبر اكتشاف أثري في العصر الحديث. . . نظرت بتعجب إلى جمال رأس التمثال

وجمال جسد نفرتيتي. . . وتخيلت في يوم من الأيام أن تمثال رأس نفرتيتي في ألمانيا أجمل ما رأيت. . . أن جمالها لا يوصف.
نظر حسين حوله وهو يستطيع أن يرى الآن جدران الغرفة من حوله كلها نقوشات ورسومات فرعونية. اقترب حسين من الرسومات وقرب إضاءة هاتفه المحمول، واقتربت منه مها. . . كل جوانب الغرفة مزينة بنقش واحد فقط. . . لا يوجد نقوش أخرى كلمة واحدة تتكرر حتَّى غطت كل موضع في الغرفة. . .
-الجميـــلة قـــد أتـــت-!

***

لندن:
وجه سيد مسدسه ناحية ليفي جايمس بينما حاول يوسف من خلفه إيقافه، ووقفت عهد بينه وبين العجوز الجالس على كرسيه المتحرك.
-عهد إنتِ بتعملي إيه؟ سأل سيد.
-أرجوك سيد أنا بخير وهما لم يأذونني بأي شكل من الأشكال.
-توجه سيد إلى سرير عهد ورفع الغطاء، ونظر تحت السرير. . . لا يوجد شيء. . . نظر يوسف من الجانب الآخر ومن كل جوانب السرير.
لا توجد قنبلة. . . نظر يوسف إلى الهاتف المحمول في يديه وإلى العداد وهو يتناقص ٢٢ ساعة. . .

-أنا مش فاهم حاجة. . . تحدث سيد.
-سيدي هل من الممكن أن نجلس قليلًا وأطلب لك بعض الشاي المصري لنتحدث؟
-نظر سيد إلى الشاب الذي يبدو إنجليزيًّا، ولكنه يتحدث بلغة عربية سليمة مِمَّا يضفي غرابة عجيبة للنظر إليه وسماعه.
-أنا هاشرح ليك كل حاجة. . . تحدثت عهد وبدأت في سرد قصه ليفي. . .
-ده لا يبرر أنَّه يخطفك وأنَّه يهددنا بقتلك.
-أنا بعتذر جدًا عن الطريقة. . . أجاب ليفي للأسف مكنش في طريقة تانية أقدر أجذب بيها انتباهك وانتباه الدكتور حسين. . أنا بدور على يوزف مينغيله من أكثر من عشرين سنة وزي ما أنت شايف وقتي قرب ينتهي، ومش قادر أموت وأسيب مجرم نازي ورايا. . .
-مفيش حاجة اسمها خلود. . . أجاب سيد . . . كل الكائنات لازم تموت.
-ورغم إن حضرتك بتقول كده. . . أنا مش شايف دكتور حسين المصري معاك؟ سأل ليفي هنري جايمس.
-حسين مهتم بالتاريخ. . . أنا مهتم بعهد.
-هو حسين فين فعلًا؟ سألت عهد.
-حسين سافر مصر. . . أجاب يوسف. . . يعني ببساطة كده أنا

ممكن ألخص ليك اللي حصل الأربع أيام اللي فاتو. . .
إحنا سرقنا أكبر متحف في برلين، ومش بس كده إحنا سرقنا القطعة الرئيسية في المتحف وألمانيا أعلنت الطوارئ من إمبارح بسببنا وخرجنا من ألمانيا بمعجزة. . . والتمثال طلع فيه بروجكتور متقدم جدًا في عدسة العين المفقودة اللي طلع فيها كلام. . . وحسين في مصر ماشي ورا الكلام اللي طلع من عين نفرتيتي اللي إحنا لقيناها في مومياء في مخزن المتحف المصري. . . أتمنى مكنش نسيت حاجة. . .
وأنا ممكن أشرب شاي وأتعشى كمان لو ممكن سيد فارس لو سمحت يعني.

***

الجميلة قد أتت:
إنتِ متخيلة كم الوقت اللي ممكن يكون قضاه شخص في كتابه اسمها في كل مكان في الغرفه دي. . . دي مش كتابة عامل أو نحات. . . دي كتابة محب. . . تحدث حسين.
-كل حاجة حوالينا بتؤكد إن إحنا لقينا مومياء نفرتيتي المفقودة في المكان اللي كان يستحيل حد يبحث فيه.
توجه حسين ومها إلى التابوت الذهبي. . . وأعتقد إن إحنا لازم يكون لينا الشرف بأن نكون أول من يراها. تحدث حسين.
بينما ترددت مها. . . دي ثروة قومية، وممكن نحتاج خبراء معانا

علشان نفتح التابوت.

-وأنا موافق. . . بس نبقى نقفله ثاني ويبقى ييجي الخبراء يفتحوه. . . إنت عارفه إحنا عاملنا إيه علشان نكون موجودين هنا. . . إحنا نستحق أن نكون أول من يرى وجه الجميلة!

وافقت مها ومع حسين بحرص شديد بدأت بمساعدته في رفع الغطاء الذهبي للتابوت. . . تعجب حسين فالغطاء خفيف في الوزن فهو مصنوع من رقائق ذهب ليست سميكة ليسهل تشكيلها بمنتهى الدقة لحفر تفاصيل جسد نفرتيتي عليها. بحرص شديد وضع حسين ومها غطاء التابوت جانبًا وبكل تلهف أمسك حسين ومها بهواتفهم المحمولة وتوجهوا ناحية التابوت. . .

لا شيء. . . لا توجد مومياء. . . التابوت فارغ. . .

نظر حسين ومها مرة أخرى مع تقريب أضواء هواتفهم المحمولة.

لا توجد جثة. . . لا توجد مومياء تابوت نفرتيتي فارغ. . .

في أحد أركان التابوت لاحظ حسين وجود لفافة صغيرة من أوراق البردي في حجم كف اليد. . . هذا ما يوجد في التابوت فقط. .طلب حسين من مها تركيز إضائة الهاتف على اللفافة بينما انحنى داخل التابوت للحصول عليها. . .

أخرج حسين اللفافة، وقام بفك أوراق البردي وجد بعده طبقات من أقمشة الكتان ملفوفة مثل لفافات المومياء. . . بدأ حسين بحرص في فك شرائط الكتان. . . وها هي تظهر أمامه الآن أنَّها

إناء من اللابستر المصمت على شكل زجاجة. . . تبدو كزجاجة عطر صغيرة محكمة الغلق بغطاء ذهبي منقوش عليه اسم نفرتيتي. . . قرب حسين الأناء وقام بهزة قليلًا بجوار أذنه حتَّى يتمكن من السماع.
الإناء يحتوي على سائل. . . لم يتبخر رغم مرور السنين ربما بسبب الإغلاق المحكم للأناء.
-يوجد سائل داخل الإناء. . . تحدث حسين.
نظرت مها إلى الإناء في يد حسين وأخذته بحرص وقامت بهزه قريبًا من أذنها. . . صحيح يوجد سائل بالفعل داخل الإناء. .
نظر حسين مرة أخرى داخل التابوت وحوله في الغرفة الصغيرة.
لا شيء التابوت الذهبي يحتوي على إناء محكم الغلق به سائل.
-تفتكري ده ممكن يكون. . . أكسير الخلود؟
-أنا خايفة نفتح الإناء أصلًا. . . ومش متخيلة ممكن يكون إيه؟
-مفيش غير حل وحيد. . . إحنا لازم ناخد الإناء ونروح معمل في القاهرة. . . إنت عارفه أنا دكتور في العلوم أصلًا وعندي معمل مجهز بأحدث الأجهزة وممكن بمنتهى السهولة أعرف مكونات السائل الموجود داخل العبوة.
اِلقت مها نظرة أخيرة على محتويات الغرفة وقامت بمساعدة حسين في إرجاع غطاء التابوت الذهبي إلى مكانه وخرجي خلف حسين من خلال الممر الضيق. في الخارج وقف محمود في توتر

في انتظار خروجهم من الممر داخل البئر.

-دكتوره مها إنتِ كويسه ؟ سأل محمود.

-ممكن تمسك السلم إحنا خارجين.

-فيه إيه في الممر؟

-أعتقد ممكن تكون مقبرة نفرتيتي. أجابت مها.

-فعلًا. . . صاح محمود من السعادة فلو كان كلام الدكتوره مها صحيحًا فكل وسائل الإعلام العالمية ستزور سيوة سيكون الحدث الأكبر منذ زيارة الإسكندر الأكبر للمعبد.

-الاكتشاف ده هيكون لأهل سيوة مش لينا. . . تحدث حسين.

-يعني إيه مش فاهم يا دكتور؟ سأل محمود.

-يعني أهل سيوة يستاهلوا أخذ الفضل في الاكتشاف الأثري الكبير ده. حضرتك بمنتهى البساطة هتقول إن في جزء تهدم من البئر ولما نزلتم تستشكفوا الأمر وجدتم الغرفة والتابوت بداخلها.

-أنا مع الدكتور حسين. . . أجابت مها الأفضل إن محدش يعرف بوجودنا هنا أنا وحسين. . . والتابوت لازم يتفتح بلجنة من الوزارة طبقًا للتعليمات. . . بالنسبة للوزارة أستاذ محمود إنت اللي اكتشفت تابوت نفرتيتي.

رغم تعجبه من طلبات حسين ومها وافق محمود مدير معبد سيوة. . . فمن يرفض أن يقرن اسمه بأكبر اكتشاف أثري في العصر الحديث.

أسرع حسين مع مها إلى السيارة التي وقفت في انتظارهم. . .
مطار برج العرب وعايز تَذَاكر على أول طيارة راجعة القاهرة.
-حالًا يا دكتور. . .
في المقعد الخلفي للسيارة جلس حسين مع مها ينظرون إلى الإناء ذو الغطاء الذهبي.
-دقات قلبي في تسارع. . . أنا مش مصدقة ومش متخيلة ده ممكن يكون فعلًا أكسير الحياة؟ ممكن فعلًا الفراعنة وصلوا لسر الشباب الدائم؟ وصلوا لسر الخلود؟
-أنا في حاجة ثانية شغلاني أكثر. . .
عهد. . .

***

لندن:
أخرج سيد هاتفه، وقام بالاتصال بحسين. . .
-عهد بخير ومعايا الحمد لله.
-الحمدلله. . . أجاب حسين. إيه اللي حصل؟
-إحنا راجعين على مصر. . . لما نقابلك نحكيلك إن شاء الله. المهم إنت فين؟
-أنا راجع القاهرة أنا ومها هاكون في معملي. . . قابلوني هناك.
أنا وزوجتي ليس لنا أي علاقة برغبتك في الانتقام سيد ليفي.
تحدث سيد. . . وجرنا في مطاردة تاريخية لشبح نازي بهذه

الطريقة وتعريض حياتنا للخطر بالإضافة إلى خطف زوجتي لا أجد في كل ما قيل لي مبرر له. لقد انتهى وقتنا معك سيد ليفي. والسبب الوحيد الذي يمنعني الآن من إبلاغ البوليس أو حتى قتلك. . . هو تعاطف زوجتي معك. . . أمَّا أنا فلا تنتظر مني أي تعاطف معك إنت في النهاية خاطف زوجتي. وقد حان الآن وقت انصرافنا إلى مصر. . .

-أنا لا أنتظر منك تعاطفًا. . . أجاب ليفي . . . فقد تعاطف معي الكثير والتعاطف لا يداوي الجروح. . . الانتقام يداوي الجروح.

أنا مستعد أن أتنازل عن كل ثروتي في مقابل أن أتاكد من موت مينغيله.

وماذا ستستفيد سيد ليفي؟ رغم أن خبراتي في الحياة قد لا توازي بأي حال من الأحوال ما مررت به في حياتك. ولكن ما فائدة الانتقام؟ تحدثت عهد. . . أنا أثق دائمًا في عدل الله في عدل الرب أو أيًا كان الاسم الذي تطلقه على القوى العليا في السماء أثق في عدالة السماء سيد ليفي. . . الله كفيلًا أن ينتقم من الظالم للمظلومين وهو الضامن الوحيد لذلك.

نظر ليفي إلى عهد. . . أيتها الجميلة لقد فقدت إيماني منذ زمن طويل. . . فأين كانت السماء وأنا يتم إخصائي حتَّى لا أنجب وأنا في الثالثة عشر من عمري؟؟؟ أين كانت السماء حينما ماتت أمي من الجوع بين أحضاني؟؟؟ أين كانت السماء عندما قررورا

بتر قدمي؟ أو عندما القيت في غرفة الغاز؟ لقد تخلى الإله عني من قبل أن أتخلى عنه.
تدابير الإله قد لا يفهمها البشر سيد ليفي. . . فها أنت الآن من أغنى الأغنياء وقدر لك أن تعيش حتَّى تروي روايتك. . . ها أنت الآن أمامي من القلائل الذين دخلوا غرف الغاز وخرجوا منها. الكثير من الناس رزقهم الله أولادًا وكانوا نقمة عليهم وليسوا نعمة. . . تدابير الله في الخلق غريبة وقد نفهمها وفي معظم الأحيان لا نفهمها. . . فها نحن الآن مصريون في بيت يهودي ألماني في إنجلترا ومساعده الوحيد فلسطيني؟ من يصدق هذا؟ قد يكون أن تترك أثرًا طيبًا أهم من الانتقام سيد ليفي. . . قد يكون أن تمنع ظلمًا أهم من أن تنتقم.
-أنا أحاول ذلك. . . ولكن هل من الممكن أن تعديني أنكم ستطاردون مينغيله، وتسلموه للعدالة الدولية إن كان على قيد الحياة؟ هذا كل ما أطلبه. . . أنا وصية رجل عجوز على فراش الموت. . .
-نظرت عهد إلى ليفي وقالت. . . نعم سيد ليفي سنحاول.
-إحنا لازم نمشي يا عهد تحدث سيد. . . لازم نرجع مصر.
خرج سيد وعهد ومعهم يوسف من قصر هنري جايمس متوجهين إلى الطائرة في مطار هيثرو. بينما جلس ليفي جايمس مقابلًا للنافذة ينظر في الأفق.

-سيد ليفي هل هناك ما يمكن أن أقدمه لك؟ تحدث فارس.
-نعم. . . أريد أن أذهب إلى برلين الآن.
-أنت لم تذهب إلى ألمانيا منذ خروجك منها سيدي بعد الحرب العالمية؟ تعجب فارس!
أعرف جيدًا، ولكن بدايتي كانت هناك، وكذلك يجب أن تكون النهاية.

***

القاهرة:
تفتكري نفرتيتي فين؟ سأل حسين وهو يجلس في الطائرة بجوار مها متوجهين إلى القاهرة.
تمنت مها ألا يسأل حسين هذا السؤال فهي تفكر به منذ فتح التابوت. . . من المؤكد أن التابوت خاص بنفرتيتي ولكن في النهاية لا توجد مومياء لا توجد جثة بالتابوت.
-مش عارفه. . . هل من الممكن أن تكون المومياء سرقت من المقبرة؟
-احتمال مستبعد. . . تقريبًا إحنا أول من دخل المقبرة. . . ثانيًا اللصوص بيكونوا مهتمين أكثر بالذهب يعني غطاء التابوت قيم جدًا وتقريبا لا يقدر بثمن وأغلى بكثير من المومياء.
حسين محقًا فيستحيل أن يدخل اللصوص لسرقة مومياء فقط.
وجود تابوت ومقبرة نفرتيتي في واحة سيوة في حد ذاته لغز.

صرح حسين. . . يعني هي عاشت عمرها في تل العمارنة، ومعظم الملوك والملكات اِدفنوا في وادي الملوك. . . ومفيش أي أثر لإخناتون في المقبرة حتَّى اسمه أو صورته لم تذكر في النقوش على جدار القبر. المقبرة صنعت لنفرتيتي فقط، وواحد بس ممكن يكون عنده القدرة على هذا الإبداع الفني في التابوت أو في المقبرة.

تحتمس. . . بالطبع. . . أجابت مها. . .

النقوش والتابوت تؤكد أنَّها لم تكن وظيفة قام بها تحتمس بأمر من أحد. . . واضح إنَّه كان الحافز لديه شيئًا آخر.

-إيه؟

-الحب. . . الحب فقط هو الحافز الذي لا تفسير له فيمكن الإنسان من عمل المستحيل. . . يمكن الإنسان من صنع المعجزات مع عدم انتظار المقابل. . . من الواضح أن تحتمس أحب نفرتيتي جدًا. . . كما نحبها جميعًا الآن.

-تفتكر فين نفرتيتي؟

نظر حسين إلى الإناء في يديه. . . لو اللي بنفكر فيه صح. نفرتيتي ممكن تكون في أي مكان. . .

***

المعمل:

أغلق حسين الهاتف مع سيد. . . هم في الطائرة الآن ومعهم عهد

في الطريق إلى مصر. . . سننتظرهم قبل دخول المعمل.
بالطبع وأنا أحتاج لبعض الراحة وتغيير ملابسي أيضًا. . .
نظر حسين إلى مها. . . لأول مرة يلاحظ جمالها مع كل الضغوط وتسارع الأحداث. . . سمارها ورقبتها الطويلة وعيناها الواسعة. في الحقيقة مها تشبه نفرتيتي كثيرًا. . . حاول حسين إخراج الفكره من رأسه من الواضح أن البحث عن نفرتيتي قد أثر عليَّ بشكل كبير فأصبحت أرى كل الناس نفرتيتي الآن.
-أنا أيضًا محتاج حمام ساخن. . . ممكن خلال ساعتين أمر عليك في منزلك ونروح المعمل سوا.
-طبعًا.
في الطائرة جلس سيد ممسكًا بقوة بيد عهد:
-أنا كنت قلقان عليكِ جدًا.
-إنت وحشتني جدًا!
-أنا ممكن أعمل أي حاجة علشانك إنت كل حاجة في حياتي.
ابتسمت عهد وأحمر وجهها خجلًا. . . فرغم سنتين من الزواج لا تزال حمرة الخجل تملئ وجهها الجميل. في حاجة كنت عايزة أقولها ليك بس للأسف مجتش فرصة. . .
-إيه؟ سأل سيد
-أنا كنت عاملاها مفاجأة ليك بس الأحسن أقولك دلوقتي قبل ما أتخطف تاني. . . ابتسمت عهد في خجل. . . أنا حامل.

كاد قلب سيد أن يتوقف من الفرح وأمسك بعهد وضمها إليه بقوة. . .
وصل سيد وعهد ويوسف إلى مطار القاهرة:
-نتحرك على معمل حسين؟ سأل يوسف.
-لا. . . عهد محتاجة ترتاح روح أنت وأنا وعهد هانحصلكم بعدين.
-لا يا سيد. . . دي نهاية الطريق أكيد ولازم أكون معاكم وأنا بخير.
موافقًا على كلام جميلته تحرك سيد وعهد ويوسف باتجاه معمل الدكتور حسين في انتظارهم وقف حسين ومها. قام سيد بتعريف مها إلى عهد وأخبر كلًا منهما الآخر عمَّا دار في سيوة وفي لندن.
-إنت متخيل إن ممكن السائل ده يكون أكبر اكتشاف في تاريخ البشرية. . . شفاء لكل الأمراض الدواء الأعظم. . . دواء الشيخوخة يعني مفيش زهايمر. . . مفيش سرطان. . . مفيش موت. تحدث يوسف.
-بس لو هو كده ليه القدماء المصريين أخفوه بالشكل ده؟ وليه لم يستفيدوا هم منه؟ سألت عهد.
-أعتقد الدواء ده اِتعمل لنفرتيتي بس. . . أجاب حسين. . . تحتمس النحات اللي عمل رأس نفرتيتي كان فنان وكيميائي وطبيب وكان هو اللي بيصنع ألوانه وهو بالنظر إليها تدل على

تمكن هائل من الكيمياء. . . وواضح أن تحتمس كان بيحب نفرتيتي جدًا بدليل إن الورشة بتاعته في تل العمارنة مكنش فيها غير تماثيل رأسية لنفرتيتي. ومقبرة نفرتيتي مفيهاش غير نقوش لاسمها. . . واضح إنَّه مكنش شايف في الدنيا غيرها. . . وعلشان بيحبها مكنش شايف إن في حد يستحق الخلود غيرها. . . طبعًا ده لو فعلًا ده أكسير الخلود؟

-والتحليل بتاعك هايعمل إيه بالظبط؟ سأل يوسف.

-الجهاز ببساطة هايفصل المكونات اللي اِتعمل منها السائل ونعرف اِتعمل من إيه. . . وده هايدينا فكرة مبدئية هو ممكن يكون بيعمل إيه.

-أيًّا كان اللي هاتعمله لازم تكون حريص جدًا الكمية اللي موجوده مش كبيرة. أوضحت مها.

-طبعًا.

أمسك حسين بالإناء وبحرص شديد قام بفتح الغطاء الذهبي. الإناء محكم الغلق وأحتاج فترة من حسين حتَّى يستطيع فتح الغطاء. في أنبوبة اِختبار زجاجية قام حسين بحرص بإفراغ محتويات الإناء. . . سائل شفاف يشبه الماء هذا فقط ما يوجد في الإناء. . . الغريب أنَّه في قمة النقاء. . . لم يتخيل حسين أن قدماء المصريين كان لديهم هذه القدرة على تقطير وتنقية الماء بهذه الصورة. ولكن هم بناة الأهرام قد يكون تقطير الماء

بالنسبه لبناء الهرم أمر بديهي.
بحرص شديد أخذ حسين قطرات من السائل وأدخلها على جهاز في معمله. بينما وقف الجميع في انتظار نتائج الجهاز. . . دقائق قليلة وتمَّ طباعة تقريره عبارة عن رسم بياني، وعليه أسماء مركبات باللغة الإنجليزية. . .
أخذ حسين التقرير سريعًا بينما وقفت مها إلى جواره تنظر إلى النتائج:
-سكر ريبوز.
-فوسفات.
-قواعد نيتروجينية.
-ماء.
-ممكن تقولنا في إيه؟ سأل يوسف.
نظر حسين إلى الورقة في يديه محتاج تحليل كمان. . . أخذ حسين قطرة أخرى من السائل، وتوجه إلى جهاز آخر في معمله. . . واضح إنَّه أسرع من الجهاز الأول وموصل بشاشة كمبيوتر.
ظهرت النتيجه على الشاشة:
-التركيز ٩٨٪
-النقاء ٣.٠
-ادينين A
-ثايمين T

-غوانين G
-سايتوسين C
نظر حسين ومها إلى النتائج في دهشة!
ده مش أكسير الحياة. . . ده حمض نووي DNA ومش بس كده ده بتركيز ونقاء عالي جدًا، ومحفوظ بصورة عجيبة!
-إنت بتقول إيه؟ تعجب يوسف. الفراعنة قدروا يعزلوا الحمض النووي من آلاف السنين؟
-نظر حسين إلى النتائج مرة أخرى. . . وبدقه متناهية. . . أعتقد أن إحنا معانا الحمض النووي لنفرتيتي. أنا مش مصدق إحنا بنتكلم عن علوم هندسة وراثية واستنساخ من زمن قدماء المصريين إحنا بنتكلم عن بحر علم. . . العالم أعتقد إنَّه حديث موجود من آلاف السنين.
-أيوه بس هو عمل إيه بالحمض النووي لنفرتيتي مش فاهم؟ سأل سيد.
-لو قدر تحتمس يدخل الحمض النووي لنفرتيتي في عمليات التكاثر في مصر. . . فهو ببساطة خلد جينات نفرتيتي وأعطاها الخلود. . . أجابت مها.
- يوسف إنت معاك صور قناع نفرتيتي من ألمانيا صح؟ سأل حسين.
-أه طبعًا. . . أنا صورت القناع فيديو لما كنا في الفندق.

-ممكن تاخد قياسات الوجه.
-أه طبعًا. . . بس ليه؟
-مش عارف لسه ممكن يكون ولا حاجة.
أخرج يوسف الاب توب الخاص به، وقام بإخراج فيديو لرأس نفرتيتي وشغل برنامج ثلاثي الأبعاد لأخذ قياسات الوجه من جميع الجهات. . . تمام كل القياسات موجودة.
-ممكن تدخل الأرقام دي على برامج التعرف على الوجه. . . حول العالم.
-حسين. . . إنت متخيل إن نفرتيتي عايشة؟؟
-استطاع يوسف الدخول إلى قواعد البيانات الدولية للتعرف على الوجه. . .
النتيجه وصلت.
أكثر من ٢٥ احتمال تطابق. . .
اِلتف الجميع حول شاشة يوسف وبدأت الأسماء والصور في الظهور. . .
سوسن بدر. . . مصر.
مها سالم. . . مصر.

*** تمت***



01020439639